عين الكاميرا

الأمم المتحدة: نساء السودان يتحملن وطأة أسوأ أزمة إنسانية في العالم.

كابوس صحي يحاصر نساء الفاشر.. ونقص في أبسط الضروريات

الفاشر، السودان:

تعيش آلاف النساء والفتيات في مدينة الفاشر بولاية شمال دارفور واقعاً إنسانياً مأساوياً تحت وطأة الحصار الخانق. هذا الحصار تسبب في نقص حاد بأبسط المستلزمات الضرورية، وعلى رأسها الفوط الصحية، مما يجبرهن على استخدام بدائل خطيرة كالأقمشة وبقايا الملابس القديمة. هذا الوضع يثير مخاوف جدية حول صحتهن العامة والنفسية، خاصة في مراكز الإيواء المكتظة.

ناشطات ومواطنات كشفن لـ"دارفور 24" أن فترة الدورة الشهرية تحولت إلى "كابوس حقيقي" في ظل غياب النظافة والمرافق الآمنة. الصيدلانية والناشطة تهاني عبد الرحمن آدم أكدت أن المعاناة تتجاوز الجوع والمرض لتشمل نقص الفوط الصحية، وقلة المياه، وغياب المراحيض الآمنة، مما يعرضهن لمضاعفات صحية طويلة الأمد، ويزيد من تفاقم فقر الدم بسبب هذه الأزمة الإنسانية الخفية. النساء والفتيات في مراكز الإيواء هن الأكثر تضرراً، حيث أصبح الحصول على الفوط الصحية شبه مستحيل، وضعف الرعاية الصحية الإنجابية يزيد معاناتهن الجسدية والنفسية.

"وحدة مكافحة العنف": 1385 حالة اغتصاب موثقة منذ اندلاع حرب السودان

كشفت وحدة مكافحة العنف ضد المرأة والطفل في السودان عن توثيق 1385 حالة اغتصاب وعنف جنسي واسترقاق، ارتُكبت في مناطق كانت تسيطر عليها قوات الدعم السريع منذ اندلاع الحرب في أبريل 2023.

وقالت مديرة الوحدة، سليمى إسحاق، لـ"الترا سودان" إن هذه الحالات جرى توثيقها في مناطق مثل ولاية الجزيرة والخرطوم والنيل الأبيض قبل مغادرة قوات الدعم السريع لها. وأشارت إسحاق إلى أن الأرقام الموثقة لا تشمل جميع الحالات، فهناك حالات إضافية لم تُسجل من نازحات دارفور في مدينة الدبة، بالإضافة إلى حالات أخرى في الجزيرة والخرطوم وكردفان.

وأوضحت إسحاق أن معسكر زمزم للنازحين شهد العديد من حالات الاغتصاب والعنف الجنسي، وأن عدم توفر شبكات الاتصال حال دون تسجيلها بدقة. ونبهت إلى أن بعض الأسر تمنع النساء والفتيات اللاتي تعرضن للعنف الجنسي من الوصول إلى الخدمات خوفاً من الوصمة الاجتماعية، مما يعرض حياتهن للخطر.

وأكدت إسحاق أن العنف الجنسي، عندما يُستخدم كسلاح، يعمل على تدمير الحياة بشكل كامل، وله آثار نفسية واجتماعية تتناقل عبر الأجيال. وكشفت عن وفاة فتاتين نتيجة لمضاعفات الاغتصاب الجماعي بسبب النزيف الحاد، إحداهما في محلية شرق النيل. وشددت إسحاق على أن الحل لمشاكل النساء يكمن في إيقاف الحرب، مؤكدة أن الاغتصاب أصبح يستخدم كسلاح ضد النساء في هذا النزاع.

"البرلمانيات العربيات": البحرين تتقدم في تمكين المرأة سياسياً

أكدت نائبة رئيس شبكة البرلمانيات العربيات "رائدات" ابتسام هجرس أن البحرين خطت خطوات نوعية في تمكين المرأة سياسياً منذ إنشاء المجلس الأعلى للمرأة عام 2001. جاء هذا التصريح خلال مشاركتها ووفدٍ من "رائدات" في زيارة عمل للبرلمانين الأسكتلندي والبريطاني، بدعوةٍ من مؤسسة وستمنستر والحزب الوطني الأسكتلندي.

الوفد، الذي ضم برلمانيات من الأردن وفلسطين وتونس والسودان، التقى بمسؤولين وناقش قضايا المرأة وسبل رفع تمثيلها في المواقع المنتخبة. كما حضرت هجرس جلسات برلمانية ومؤتمرات نسائية ركزت على الفجوات القائمة في تمثيل النساء وكيفية التغلب على المعيقات الاجتماعية والثقافية.

أشادت هجرس بالدور المحوري للمجلس الأعلى للمرأة في البحرين، برئاسة الأميرة سبيكة بنت إبراهيم آل خليفة، في قيادة هذا التطور. وأكدت أن الزيارة عززت الخبرات والعلاقات، مما يعكس التزام البحرين المستمر بتمكين المرأة على كل الأصعدة.

ملف الهدف
المرأة والمجتمع

افتتاحية العدد الأول

شعلة "ملف الهدف".. نورٌ للمرأة والمجتمع

في قلب كل حضارة تنبض روحٌ، وفي وجدان كل أمة تتجلى إرادةٌ. اليوم، ومع إشراقة فجرٍ جديد، وُلد "ملف الهدف للمرأة والمجتمع" لا ليكون مجرد صفحات تُقلّب، بل ليُصبح منبرًا مدويًا، ومرآةً تعكس الروح الحقيقية لمسيرة التنمية والتحديات التي تخوضها المرأة في سبيل الارتقاء بنفسها ومجتمعها. هذا ليس مجرد عدد أول، بل هو الخطوة الأولى في رحلةٍ نسعى فيها لجمع الشتات، وتوحيد الجهود، وتسليط الضوء على قصص النجاح الملهمة التي غالبًا ما تُروى بصوت خافت، أو تظل حبيسة الجدران. لقد طال انتظار هذا الصوت الجامع، الذي لا يكتفي بالرصد، بل يتعداه إلى التحليل العميق، وتقديم الحلول، ورسم خارطة طريق نحو مستقبلٍ تُمنح فيه المرأة كامل حقوقها، وتُفعّل طاقاتها الكامنة التي لا تزال تنتظر الفرصة لتُثمر. "ملف الهدف" ليس مجرد عنوان، إنه فلسفة عمل تُؤمن بأن نهضة المجتمع تبدأ من تمكين المرأة، وأن تقدمها هو مقياس حقيقي لتقدم الأوطان. فهل تستقيم قامتُنا وتزدهر أراضينا ونصف مجتمعنا يُواجه التحديات بصمت؟

هذا العدد، الذي نُطلقه اليوم، هو دعوةٌ مفتوحة لكل امرأة ورجل يؤمن بأن العدالة الاجتماعية، والفرص المتساوية، والكرامة الإنسانية، ليست مجرد شعارات، بل هي مبادئ راسخة يجب أن تُترجم إلى واقع ملموس. سنغوص في أعماق القضايا التي تلامس حياة المرأة، من التحديات الاقتصادية والاجتماعية، إلى الأدوار القيادية التي تضطلع بها، وصولاً إلى الصحة والتعليم والإبداع. كل زاوية وكل تحقيق وكل قصة ستُروى هنا ستكون شعلة تُضيء درباً، وتُحرك ساكناً، وتُلهم جيلاً.

نحن نُدرك أن الطريق ليس مفروشاً بالورود، وأن التحديات كبيرة ومتشعبة، لكن إيماننا بقدرة المرأة على إحداث الفارق، وعزيمتنا على تسليط الضوء على كل ما من شأنه أن يدعم هذه المسيرة، أكبر من أي عقبة. "ملف الهدف للمرأة والمجتمع" هو تجسيد لهذا الإيمان، ونافذة نطل منها على عالمٍ أكثر عدلاً، ومجتمعٍ أكثر تكافؤاً، وامرأةٍ أكثر تمكناً. ندعوكم لتكونوا جزءاً من هذه الرحلة، أن تشاركونا آراءكم، وأن تُثروا صفحاتنا بقصصكم وتجاربكم. فـ "ملف الهدف" هو صوتكم، ومنكم وإليكم.

فرح ود تكتوك في مركز فيجن

يستضيف مركز "فيجن " للتدريب والتنمية المستدامة في تمام السابعة من مساء غد الاثنين الموافق 16 يونيو حفل تدشين كتاب "الشيخ فرح ود تكتوك، البعد التربوي في شعره وأقواله" لمؤلفته د.نسرين الرضي جاد الله. ويشارك في مناقشة الكتاب البروفيسور محمد المهدي بشرى والكاتب جعفر نصر.

أفق بعيد

شيماء تاج السر

المرأة السودانية رمز الصمود

لطالما ظلت المرأة السودانية قامةً شامخةً، ورمزاً متجلياً للصمود على مر العصور، هذا الصمود الذي ازداد وهجاً مع اشتعال أتون حرب الخامس عشر من أبريل لعام 2023، التي اجتاحت السودان. تلك الحرب التي لم تكتفِ بانتهاك حرمة الوطن والمواطن بأبشع أنواع الجرائم، من قتلٍ وحشيّ، واغتصاباتٍ مُروّعة، واستعبادٍ جنسيٍّ مُخزٍ، وتهجيرٍ قسريٍّ مُوجع، ونهبٍ وسرقةٍ، وغيرها من الفظائع التي عمّت ربوع البلاد. لقد بلغت الجرائم حداً جعل استدامة الحياة أمراً يكاد يكون مستحيلاً على الجميع، لولا التدخل الجريء للمرأة، ومساعيها الحثيثة لإنقاذ نفسها وأسرتها. وهنا، أقولها بكل فخر واعتزاز، إنه كان للنساء الدور الأكبر، والبصمة الأعظم، في نجاة الكثير من الأسر السودانية؛ فمنهن كانت المفكرة والمدبرة، وصاحبة الرؤية الثاقبة، التي جعلت المستحيل ممكناً، سواء عبر محاولات النزوح واللجوء المنظم للأسر، ومن ثم كان دورهن الجليل في إرساء دعائم الاستقرار، حيث شهدنا بأعيننا نساءً يكافحن بعزيمة لا تلين، ويُمارسن الأعمال الحرة، من صناعات يدوية دقيقة، وتجارة بسيطة، وغيرها من المهن الشريفة، كل ذلك من أجل استقرار عائلاتهن وتوفير سبل العيش الكريم.

وكل ذلك يحدث والمرأة هي الأم الحانية، والأخت السند، والزوجة الوفية؛ هي الرفيقة للرجل المحارب، والشهيد الذي سقط، والمفقود الذي غاب. هي الساندة للمصاب الذي تئن جراحه، والمُعينة لمن فقد عمله ودربه. وعلى الرغم من كل هذه الأدوار العظمى، هي ذاتها من واجهت بشاعة القتل، وفضاعة الاغتصاب، ومرارة السرقة، وقيود الاستعباد الجنسي، وويلات الخطف خلال هذه الحرب اللعينة. كما أنها واجهت قسوة الاعتقالات التعسفية وتلفيق التهم الباطلة، كما سنسرد لاحقاً في فصولٍ قادمة.

المشاركة السياسية للنساء في السودان..
الضعف سيد الموقف

رانيا فاروق

فرضت حرب 15 إبريل 2023 واقعًا جديدًا على نساء السودان، أثر بشكل عميق على حياتهن اليومية وفي الفضاء العام. فمع تزايد أعداد ضحايا النزاع، وجدت السيدات السودانيات أنفسهن أمام مسؤولية ضخمة، ما دفع بمعظم الأنشطة والمبادرات النسوية، التي ازدهرت خلال وبعد ثورة ديسمبر، للتحول إلى "تكايا" وغرف طوارئ. تبدأ هذه المبادرات عملها من داخل دور الإيواء، بتقديم الإطعام وتوفير احتياجات النازحات، وتقديم الدعم النفسي والطبي والقانوني، وصولاً إلى أدوار أكبر في الدفاع عن حقوق الإنسان والمطالبة بوقف الحرب وإشراك النساء في كل تفاصيل عملية صنع السلام.

من الحراك إلى كمبالا: رحلة مطالبات مستمرة

شكلت مشاركة النساء خلال الحراك الثوري 2018 - 2019 أكثر من 60%، خاصة بين الشابات، ما عكس دورهن المحوري في التغيير. وخلال فترة الحكومة الانتقالية، برزت مبادرات نسوية وشبابية رائدة في العمل المدني الهادف إلى التوعية وبناء الدولة المدنية، وتحقيق شعارات الثورة، ورفض العنصرية وإنهاء التمييز ضد النساء. توج هذا الحراك بالتوقيع على القرار الأممي 1325 الخاص بأمن وسلامة النساء في مناطق النزاعات ومشاركتهن في عملية السلام وإعادة الإعمار وتجريم العنف ضد النساء في مناطق النزاعات.

وعلى الرغم من إدراك النساء لأهمية الدور الدولي والضغط في اتجاه مشاركتهن في عملية السلام والمفاوضات، إلا أن منبر جدة التفاوضي الذي ناقش الأزمة السودانية لم يشهد أي مشاركة نسوية. يأتي ذلك في الوقت الذي كانت فيه النساء من أوائل المطالبات بوقف الحرب، حيث رفعن مذكرات إلى الفاعلين الدوليين وقدن حملات تطالب بفتح الممرات الآمنة وتوصيل المساعدات الإنسانية للنازحين، خاصة النساء. كما طالبن بالمشاركة في المفاوضات وعملية السلام، انطلاقًا من وعيهن المتزايد بقضاياهن.

في أكتوبر 2023، توافقت أكثر من 350 امرأة يمثلن عددًا من المبادرات النسوية من مختلف الفئات العمرية والطبقية والإثنية على "إعلان كمبالا النسوي". يهدف هذا الإعلان إلى التأثير على مسار السلام ودعم بناء التحالفات النسوية.

وتضمن الإعلان مبادئ أساسية منها ضرورة إنهاء الحرب ووقف إطلاق النار والعودة لمنبر التفاوض، والبدء في محادثات السلام المستدام الذي لا يمكن تحقيقه دون اعتماد رؤية نسوية مشتركة. كما شدد الإعلان على إعلاء الأجندة النسوية فوق الانتماءات الحزبية والفكرية والدينية والإثنية والمناطقية والطبقية، واعتماد منهج التشاركية لضمان المشاركة النوعية المتساوية والفعالة للنساء بدءًا من مفاوضات السلام وجميع مستويات وضع السياسات واتخاذ القرار في كل مؤسسات وهياكل الحكم السياسية والتنفيذية والتشريعية والعدلية والقضائية والأمنية.

عقبات متعددة أمام المشاركة السياسية للمرأة

على الرغم من هذا الدور الفاعل، لا تزال هناك أسباب كثيرة تضعف مشاركة النساء في العملية السياسية والفضاء العام، وتشمل هذه الأسباب جوانب سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية. في ورشة سابقة لمركز "الألق"، كشفت الباحثة والمدربة في مجال النوع الاجتماعي، د.سامية الهادي، عن هذه الأسباب. تعزو د.سامية بعض هذه الأسباب إلى الجانب الاجتماعي، حيث تنشغل النساء بالأعباء المنزلية، مما يقلل من فرصهن للمشاركة في الشأن العام. أما على الجانب السياسي، فتتجلى الأسباب في نظم الحكم العسكرية والدكتاتورية الطويلة التي تقيد حرية التنظيم السياسي والجماهيري، وتجمد الجمعيات النسوية، وتعزز النظم الذكورية الأبوية. حتى خلال فترة الحكومة الانتقالية، كانت مشاركة النساء "مخجلة"، وفقًا للدكتورة سامية. إضافة إلى ذلك، تشير د.سامية إلى ضعف مطالبة النساء أنفسهن بالمشاركة السياسية. وتلفت الانتباه إلى مسألة تحتاج إلى بحث ودراسة وهي: "أين الشابات اللاتي قدن الثورة ولماذا لا ينخرطن في الأحزاب السياسية؟" وتطالب د.سامية بضرورة اهتمام النساء بقضية المشاركة السياسية وإدارة حوارات حول إحجام الشابات عن السياسة، ومناقشة التحديات التي تواجه النساء في الأحزاب، بالإضافة إلى إدارة نقاشات أخرى على مستوى قادة الأحزاب حول إحجام النساء عن العمل السياسي.

أفكار وآراء

زكريا نمر

"الأنثى المثقفة: بين الوعي والاتهام"

في العديد من المجتمعات العربية والإفريقية، حيث لا تزال التقاليد تهيمن على جوانب الحياة، تبرز صورة المرأة المثقفة كحالة استثنائية وغالبًا ما يُساء فهمها. تواجه هذه المرأة أحكامًا مسبقة وتحيط بها الشكوك، ليس لأنها ارتكبت خطأ، بل لأنها اختارت طريق الوعي في بيئة لا تُرحب عادةً بالفكر عندما يأتي من امرأة. ومع ذلك، لا تعير اهتمامًا كبيرًا لما يُقال، لأنها تدرك تمامًا أن الوعي هو مسار طويل، قد يتطلب أحيانًا الصمت وأحيانًا المواجهة، لكنه يستحق كل جهد.

المرأة المثقفة لا تقرأ للتفاخر، بل لتتعلم وتفهم، ولتعيد تقييم العالم من حولها. هي لا تكتفي بمشاهدة الأمور من بعيد، بل تتوجه نحو الأسئلة الكبرى، وتقرأ ما وراء النصوص وتبحث عن المعاني في كل شيء. تعتبر القراءة جزءًا أساسيًا من مشروع وجودها، حيث تعيد اكتشاف ذاتها وتنظم علاقتها بالعالم، وتواجه التناقضات من موقع الفهم بدلاً من الرفض الأعمى.

هي ليست متعالية كما يُشاع عنها، ولا هي معقدة أو تنفر من الحياة أو العائلة كما يعتقد البعض. فالعكس، غالبًا ما تكون أكثر التزامًا بأسرتها ومستقبلها الشخصي والاجتماعي. بفضل قراءتها، تدرك مسؤولياتها بعمق. تفهم أن العطاء لا يعني الذوبان، وأن الحب لا يتطلب التضحية بالذات، وأن الحرية لا تعني الفوضى. تربط بين الثقافة والسلوك، وبين الفكر والممارسة، فلا تكون أسيرة للكتب ولا سجينة للعادات. في البيئات الإفريقية والعربية على حد سواء، تواجه المثقفة تحديًا مضاعفًا: الأول مع الجهل، والثاني مع الصور النمطية. يُقال إنها غير مؤهلة للزواج لأنها تفكر كثيرًا، أو إنها صعبة لأنها تعبر عن أفكارها بوضوح وثقة. تخيف البعض لأنها لا تجيد التظاهر، وتقول ما تؤمن به دون تردد. لكنها في الواقع لا تبحث عن مواجهة، بل عن مساحة للحياة، للحوار، وللمشاركة. هي تدرك أن المستقبل لا يُبنى على المجاملات، بل على الفهم العميق. تعرف أن الأسرة التي تُدار بالسلطة فقط ستنهار، وأن المجتمع الذي لا يستمع إلى نسائه محكوم عليه بالتخلف. لذا، تسعى بكل جهدها لتكون الجسر الذي يربط بين الواقع وما ينبغي أن يكون.

هذه المرأة ليست استثناءً، بل نموذجًا يستحق الفهم بدلاً من الخوف. ليست تهديدًا لأحد، بل فرصة للجميع. عندما تقرأ، لا تهرب من الواقع، بل تتفاعل معه بعمق. وعندما تفكر، لا ترفع نفسها فوق الآخرين، بل تُنير الطريق الذي يسير فيه الجميع، حتى أولئك الذين يسيئون فهمها. في زمن مليء بالاضطرابات، تظل المرأة المثقفة رمزًا لوعي لا يموت، وأن الكرامة لا تحتاج إلى ضجيج. تتقدم بصمت، لكنها تترك أثرًا لا يُنسى.

القيادية النسوية والمناضلة أماني إدريس لـ"ملف المرأة والمجتمع":

المرأة السودانية لا تنكسر.. رمز الصمود والعزيمة في وجه أقسى الظروف

في زمن الحرب والانهيار، تبرز أصوات نسوية تقاوم بالصمود والأمل، من بينها أماني إدريس، القيادية والناشطة التي أسهمت في تأسيس التنسيقية النسوية الموحدة استجابةً لتداعيات الحرب في السودان. بخبرتها في العمل المجتمعي وحقوق الإنسان، أصبحت من أبرز الأصوات المدافعة عن النساء المتضررات، وساعية لرسم طريق للتعافي والعدالة. في هذا الحوار، نقترب من رؤيتها حول واقع المرأة، وتحدياتها، وآفاق دورها في بناء السودان القادم.

حوار: عمر سفيان

كيف تصفين واقع المرأة السودانية الراهن في ظل الأزمة الحالية، وما هو الدور التاريخي الذي لعبته في قيادة التغيير بالسودان؟

- الواقع مرير بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لكنه لم يكن يومًا قادرًا على كسر المرأة السودانية. هذه المرأة التي واجهت الفقر، الحروب، الفقد، والسجون، لا تزال واقفة كجدار يحمي ما تبقى من نسيج المجتمع. هي لم تكن يومًا على الهامش، بل في عمق الأحداث، منذ لحظة الاستقلال مرورًا بانتفاضتي 1964 و1985، وصولًا إلى ثورة ديسمبر المجيدة. المرأة السودانية كانت ولا تزال رأس الرمح في كل حركة تغيير. في الثورة الأخيرة، لم تكن مجرد مشاركة، بل كانت محركة ومؤسسة وملهمة. قادت اللجان، نظّمت الاعتصامات، ضمدت جراح المصابين، وحمت الثورة من الانهيار الأخلاقي والاجتماعي. "الكنداكات" لم يكن مجرد لقب، بل رمز تاريخي حي يستلهم من ماضي نِساء مرويّ وكوش، ويعيد تصديره إلى العالم.

كيف أثرت الحرب الراهنة على المرأة السودانية؟ وما أبرز الانتهاكات التي تعرضت لها؟

- الحرب لم تطرق بابًا بل اجتاحت البيوت عنوة، وكانت النساء أول من دفع الثمن. لم تعد المسألة فقط فقد مأوى أو مورد، بل أصبحت المسألة مسًّا مباشرًا بالجسد والكرامة. رصدنا حالات اغتصاب جماعي، وحالات زواج بالإكراه، وحالات حمل ناتج عن العنف الجنسي في مناطق النزاع. كل هذا يحدث في ظل صمت رسمي ومجتمعي مخيف. كما أن النزوح خلق موجات من الانقطاع عن التعليم والعمل والرعاية الصحية، مما ضاعف هشاشة وضع النساء. المرأة وجدت نفسها مسؤولة عن إعالة الأسرة في غياب الرجال، وأحيانًا دون موارد أو حماية. وهناك جانب نفسي غائب عن النقاش العام: النساء اللاتي تعرضن لانتهاكات يشعرن بالذنب والخجل، ويكبتن آلامهن في صمت، وهذا أمر مدمّر.

وهل تتوفر لهن أي خدمات دعم، نفسية، قانونية، أو اجتماعية؟

- للأسف، لا. الخدمات شحيحة إلى حد الخطر. لا توجد مراكز دعم نفسي مخصصة، ولا يوجد تأهيل قانوني للضحايا، ولا توجد حتى آليات بسيطة لرعاية الناجيات من العنف. بعض المنظمات تحاول ملء هذا الفراغ، لكن التحديات ضخمة، والحاجة أكبر من الموارد. حتى توفير أبسط الاحتياجات، مثل الفوط الصحية، لا يُؤخذ على محمل الجد، رغم أنه حق إنساني أساسي. نحن نطالب بإدخال الدعم النفسي ضمن خطط الطوارئ الوطنية، وبإنشاء مراكز مستقلة آمنة لرعاية النساء.

ما هي رؤيتك بشأن آليات المحاسبة للانتهاكات التي وقعت ضد النساء؟

- لا بد من وضع حد لثقافة الإفلات من العقاب. هذه الجرائم لا يمكن أن تُطوى لأنها تمسّ جذر الكرامة الإنسانية. نطالب بآلية دولية مستقلة لتوثيق الجرائم والتحقيق فيها، وتقديم الجناة للمحاكم الدولية. العدالة المحلية في السودان اليوم إما مقيّدة أو مخترقة، ولا يمكن الاعتماد عليها وحدها. يجب إشراك منظمات حقوقية مستقلة، وضمان حماية الشهود والضحايا، والعمل على نقل ملفات الجرائم الموثقة إلى المحكمة الجنائية الدولية وتوسيع نطاق اختصاصها ووليتها لتشمل كل السودان. يجب أن تُعلن أسماء الجناة، وأن يعلم الناس أن من ارتكبوا الجرائم لن يناموا مطمئنين.

على صعيد الدعم الإنساني، ما الأولويات العاجلة بالنسبة للنساء؟

- نحتاج إلى برامج دعم نفسي عاجلة، لا تكتفي بجلسات فردية بل تنشئ مجموعات دعم ومراكز تأهيل. نحتاج إلى معسكرات آمنة مخصصة للنساء والأطفال، وإلى حزم مساعدات تراعي خصوصية النساء. كما نطالب ببرامج تأهيل مهني تساعد النساء على النهوض مجددًا، وتمكينهن من مصادر دخل مستقلة. يجب ألا تعتمد النساء بعد الآن على دعم هشّ أو مؤقت. نحتاج كذلك إلى توفير بيئة قانونية تحمي النساء من الاستغلال والعنف في أماكن الإيواء.

كيف تعمل القيادات النسوية على توحيد جهودها رغم هذا الشتات؟

- الشتات ليس قدَرًا، بل تحدٍّ يجب مواجهته. لذلك أطلقنا "التنسيقية النسوية الموحدة"، وهي منصة تسعى لتوحيد المبادرات النسوية المبعثرة، سواء داخل السودان أو في الشتات. نعمل على ربط المبادرات القاعدية بالجهود السياسية، وخلق قناة تنسيق موحدة في مجالات الإغاثة، التوثيق، والدفع السياسي. لدينا لجان للمرافعة الدولية، ولجان للعمل الميداني، ونحاول بناء كوادر نسوية قادرة على التحدث باسم النساء في كل المحافل، لا بصفتها ضحية، بل باعتبارها فاعلة ومبادرة.

ما رؤيتك لدور المرأة في مرحلة ما بعد الحرب؟

- نحن لا نريد العودة إلى الهامش. نطالب بتمثيل لا يقل عن 50% في كل مستويات الحكم، من المجلس المحلي حتى المجلس السيادي. نريد كوتا دستورية ملزمة، ونريد أن تكون للمرأة اليد الطولى في صياغة الدستور والبرامج السياسية. هذا التمثيل ليس منّة من أحد، بل استحقاق تاريخي. نطالب بأن تُدمج قضايا النساء في كل الخطط والسياسات: من التعليم إلى الاقتصاد إلى الأمن. نريد تمكينًا حقيقيًا، لا صورًا رمزية. نريد نساءً يقرّرن السياسات، لا يُستخدمن كزينة لمشاريع سياسية خاوية.

وهل ترين أن هناك مخاطر تهدد دور النساء حتى بعد انتهاء الحرب؟

- نعم، الخطر الحقيقي هو أن يُطلب من النساء العودة إلى الصمت بعد أن يهدأ الرصاص. هذا لن نقبله. لقد دفعن الثمن الأغلى، وهن من يملكن الخبرة والمعرفة والرؤية لإعادة بناء السودان. لا نريد سلاماً زائفاً يعيد إنتاج التهميش، بل سلامًا شاملاً يُبنى على العدالة والمساواة. لذلك نُعد النساء اليوم، سياسيًا، اقتصاديًا، قانونيًا،

أصواتٌ مُهمّشة: واقع النساء ذوات الإعاقة في السودان

في بلدٍ يتصدرُ قائمةَ الدولِ الأكثرِ تأثراً بالصراعاتِ والنزوحِ وانهيارِ الخدماتِ الأساسيةِ، تواجهُ النساءُ ذواتُ الإعاقةِ في السودانِ تهميشاً مركباً ومتعدّدَ الأبعادِ. إنه تهميشٌ ينبعُ من كونهنّ نساءً، ويُعزَّزُ بالإعاقةِ، ويُفاقمُه واقعُ الحربِ القاسي الذي قضى على ما تبقى من شبكاتِ الدعمِ والرعايةِ الاجتماعيةِ والإنسانيةِ.

تهميشٌ يوميٌّ مضاعفٌ وإقصاءٌ قاسٍ

في الأحياءِ الطرفيةِ المنسيّةِ ومعسكراتِ النزوحِ المكتظةِ، تعيشُ كثيرٌ من النساء ذوات الإعاقةِ في عزلةٍ شبهِ تامةٍ. يُحرمنَ من أبسطِ الحقوقِ الأساسيةِ؛ كالحصولِ على التعليمِ الجيدِ، أو الرعايةِ الصحيةِ الملائمةِ، أو حتى الوصولِ إلى المرافقِ المؤهلةِ لتلبيةِ احتياجاتهنَّ الخاصةِ. بصوتٍ يحملُ مرارةَ الواقعِ، تقولُ خديجة، شابةٌ كفيفةٌ تسكنُ أحدَ مراكزِ الإيواءِ في بورتسودان: "لا أستطيعُ التحركَ بمفردي، ولا أحدَ يهتمُّ بنا هنا". إن غيابَ الممراتِ المؤهلةِ، وانعدامَ وسائلِ النقلِ المناسبةِ، والانهيارَ الشاملَ للبنيةِ التحتيةِ كلّها عواملُ تحوّلُ الإعاقةَ من حالةٍ جسديةٍ إلى عبءٍ اجتماعيٍّ دائمٍ. وبينما تعاني النساءُ في السودانِ عامةً من العنفِ البنيويّ والتهميشِ، فإن النساءَ ذواتِ الإعاقةِ يواجهنَ مستوياتٍ أشدَّ من الإقصاءِ، وأحياناً حتى من أقربِ الأفرادِ إليهنَّ في أسرهنَّ.

إقصاءٌ مُمنهجٌ من التعليم والعمل تُشيرُ تقاريرُ محليةٌ إلى أن نسبةَ التحاقِ الفتياتِ ذواتِ الإعاقةِ بالتعليمِ الأساسيِّ لا تتجاوزُ 3%، وهي نسبةٌ تتضاءلُ بشكلٍ حادٍ في المستوياتِ التعليميةِ العليا. المدارسُ غيرُ المؤهلةِ، والوصمةُ الاجتماعيةُ، وغيابُ الدعمِ الحكوميِّ الممنهجِ، كلّها عواملُ تدفعُ هؤلاءِ الفتياتِ قسراً إلى خارجِ المنظومةِ التعليميةِ، لتُحرمنَ من فرصِ التطورِ والاندماجِ. وفي سوقِ العملِ، تتجلى الحكايةُ بقسوةٍ أشدَّ. تقولُ نادية، خريجةٌ جامعيةٌ من ذواتِ الإعاقةِ الحركيةِ: "قدّمتُ في وظائفَ كثيرةٍ، وما إن يروا العكازَ، حتى يعتذروا فوراً". ورغمَ وجودِ قوانينَ تتيحُ التمييزَ الإيجابيَّ، مثلَ نسبةِ 2% للتوظيفِ من ذوي الإعاقةِ، إلا أنها تظلُّ حبراً على ورقٍ مما يُبقي الأبوابَ موصدةً أمامَ طاقاتٍ كامنةٍ.

الحربُ تُفاقمُ العزلةَ وتُضاعفُ المعاناةَ

منذ اندلاعِ الحربِ الأخيرةِ في السودانِ، تضاعفتْ معاناةُ النساء ذواتِ الإعاقةِ أضعافاً مضاعفةً. النزوحُ القسريُّ، وانهيارُ الخدماتِ الطبيةِ الشاملِ، وصعوبةُ الحركةِ في ظلِّ الفوضى والدمارِ، كلّها عواملُ جعلتْ الوصولَ إلى الملاجئِ أو مراكزِ الإغاثةِ مهمةً شبهَ مستحيلةٍ.

في بعضِ الحالاتِ المروّعةِ، تُركتِ النساءُ خلفَ العائلاتِ أثناءَ الفرارِ من مناطقِ القتالِ. يروي أحدُ النشطاءِ من دارفورَ بأسىً: "أعرفُ امرأةً مشلولةً تُركتْ وحدها في منزلها لمدةِ أربعةِ أيامٍ قبلَ أن يُنقذَها الجيرانُ". كما أن الكثيرَ من المساعداتِ الإنسانيةِ لا تُصمّمُ أو تُنفذُ بطريقةٍ تُراعي الإعاقةَ، مما يزيدُ من تهميشهنَّ حتى داخلِ أوساطِ النازحينَ أنفسهم. عنفٌ بلا حمايةٍ في ظلِّ الصمتِ

تتعرضُ النساءُ ذواتُ الإعاقةِ أيضاً للعنفِ الجسديِّ والجنسيِّ بشكلٍ أكبرَ بكثيرٍ من غيرهنَّ، وذلكَ بسببِ ضعفِ الحمايةِ المتاحةِ لهنَّ، وغيابِ القدرةِ أحياناً على الدفاعِ عن أنفسهنَّ أو حتى التعبيرِ عن الانتهاكِ الذي تعرضنَ لهُ. ومع انعدامِ الوصولِ إلى الشرطةِ أو المراكزِ القانونيةِ أو الدعمِ النفسيِّ، تظلُّ أغلبُ هذهِ الانتهاكاتِ في طيِّ الصمتِ المطبقِ الذي يزيدُ من آلامِ الضحايا.

من التهميشِ إلى التمكينِ: نداءٌ للعدالةِ

رغمَ كلِّ هذهِ التحدياتِ الجسامِ، تقودُ بعضُ النساء ذواتِ الإعاقةِ جهودًا استثنائيةً للمطالبةِ بحقوقهنَّ وإعلاءِ صوتهنَّ. في الخرطومِ، وقبلَ اندلاعِ الحربِ، كانتْ هناكَ مبادراتٌ نسويةٌ رائدةٌ تقودها نساءٌ من ذواتِ الإعاقةِ لتعديلِ السياساتِ، وتدريبِ النساء على التمكينِ الذاتيِّ، واستخدامِ الإعلامِ البديلِ لسردِ قصصهنَّ وتجاربهنَّ.

ما تحتاجهُ السودانياتُ ذواتُ الإعاقةِ اليومَ ليسَ فقط التعاطفَ العابرَ، بل دمجاً حقيقياً في الخططِ الوطنيةِ التنمويةِ، ومراعاةً خاصةً لاحتياجاتهنَّ في سياساتِ الإغاثةِ العاجلةِ، وبرامجِ إعادةِ الإعمارِ المستقبليةِ، وجميعِ منابرِ السلامِ والحوارِ. فكما قالتْ إحدى الناشطاتِ بحكمةٍ: "لا سلامَ ولا ديمقراطيةَ بدونِ صوتِ النساء، ولا عدالةَ حقيقيةً بدونِ النساء ذواتِ الإعاقةِ".

في زمنٍ تنهارُ فيهِ الجدرانُ وتُهدمُ المؤسساتُ، تبقى العدالةُ الاجتماعيةُ هي الجدارُ الأخيرُ الذي نحتمي بهِ ونبني عليهِ المستقبلَ. وإن كانَ صوتُ النساء ذواتِ الإعاقةِ مهمشاً اليومَ، فإن الإنصافَ الحقيقيَّ يبدأُ من سماعِ هذا الصوتِ، والاعترافِ بهِ، وتمكينهِ من المشاركةِ الكاملةِ والفاعلةِ في بناءِ سودانٍ جديدٍ، لا يتركُ أحدًا خلفه.

المرأة.. بين مطرقة التحول الرقمي وسندان العنف الإلكتروني

زاوية مضيئة

د.امتثال بشير

المرأة الأصيلة هي تلك القادرة على صوغ هويتها الإنسانية بكل اقتدار؛ لا تنقاد لأيّة إملاءاتٍ تُعارض قِيَمها ومبادئها الراسخة؛ تُصقلها التجارب، فتزداد ثقةً بذاتها دون أن تميل إلى غرورٍ أو تعالٍ؛ وتُكسِبها مواقفها احترام الجميع، لكونها اختارت ذاتها ووضعت لنفسها موقعًا واضحًا من الأشياء، سواءً كان ذلك إيجابًا أو سلبًا. "كوني أنتِ، ولو لم تُعْجبي أحداً".

لقد أفرزت ثورة التكنولوجيا والمعلومات واقعًا مُفعمًا بالكثير من التعقيدات. غدت وسائل التواصل الاجتماعي نِعمةً لمن يُحسن ويُتقن التعامل معها بموضوعية وعقلانية. وعلى النقيض التام، يُمكن أن تتحول إلى نِقمةٍ بليغةٍ يتأذى من لظاها القاصي والداني.

إن الطفرة التقنية التي وفّرت سهولة الوصول إلى الإنترنت وتغلغله في معظم مفاصل الحياة اليومية قد جعلت المرأة، سواءً في الحضر أو في الأرياف، أكثر عرضةً للانكشاف عبر الوسائط الرقمية. ففي هذا الفضاء الإسفيري الفسيحتتجلى فرصٌ لا تُحصى: منصات للتعليم الذاتي، ومسارات للتطوير الشخصي والتدريب، وأبوابٌ مُشرعة للعمل الحر والريادة الرقمية والتجارة الإلكترونية. كما تتوفر مساحات شاسعة للترفيه، والتواصل الاجتماعي، والدردشة، والتسوق الذي بات معظمه إلكترونيًا. إذاً، لا مفرّ ولا مهرب منه، بل المفرّ إليه. في ظل هذا المشهد الرقمي المفروض، وهذه السياحة الإلكترونية غير المحدودة تتسع دوائر المعارف وتترسخ العلاقات الاجتماعية وتنشأ الصداقات بشقيها: الموضوعي وغير الموضوعي. وهذا الأخير يُصنف عنفاً إلكترونياً لأنه يتم عبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ومنها الإنترنت، والبريد الإلكتروني، ووسائل التواصل الاجتماعي، والهواتف المحمولة- والذي تتجلى صوره في انتحال الشخصية بغرض الابتزاز المادي، فضلاً عن تداول وتبادل وإرسال الرسائل والصور الخادشة للحياء، والمتجاوزة للأعراف والعادات والتقاليد المجتمعية السمحة؛ أو حتى معلومات شخصية وخاصة قد تتعرض صاحبتها أحيانًا للابتزاز بكافة أنواعه ومُسمياته. هذا النمط من التعامل اللاأخلاقي ينعكس سلباً على المرأة التي تمارس تعاملات موضوعية - كأن يكون لها عملٌ أو مشروعٌ يُشكل مصدراً للدخل - فيؤثر ذلك تأثيرًا مباشرًا على صحتها النفسية والذهنية والتي بدورها تنعكس على الصحة الجسدية، مُسببةً الكثير من العلل والأمراض المستعصية.

إن تنامي وتطور هذه المظاهر السلبية يُعزىجزئياً إلى غياب القوانين الرادعة التي تحكم هذه الفضاءات الإسفيرية في بعض الدول، أو لضعف تطبيقها في كثير من الدول الأخرى. يضاف إلى ذلك، انعدام مساحات كافية للشكاوى والتبليغ ضمن بعض المنصات الرقمية، وهذا بدوره يشجع المتفلتين على التمادي في غيّهم. وأحياناً، يقع اللوم ظلمًا على الضحية نفسها؛ بزعم أنها لم تُفرض طوقاً من السرية على معلوماتها الشخصية، أو لجهلها بحقوقها القانونية التي تقيها شرّ التنمر والتحرش الإلكتروني. بالمقابل، فإن تفعيل القوانين الرادعة، ووضع الضوابط الصارمة على المنصات المختلفة، وتشجيع الإبلاغ الفوري عن التجاوزات، من شأنه أن يُوفر بيئات آمنة لأصحاب التعاملات الموضوعية. فالقوانين، وإن كانت رادعة، تستطيع تقليل هذه الظواهر والحد منها، لكنها لن تُعدمها تماماً.

التمييز ضد المرأة.. تحديات لا حصر لها!

هتون حازم

يُشكل التمييز ضد المرأة واحداً من أعقد الإشكاليات الاجتماعية والسياسية التي تُلقي بظلالها على العصر الحديث. فعلى الرغم من التقدم المُحرز الذي تُوجت به مسيرة المرأة في شتى الميادين، إلا أن أشكال التمييز المنهجية لا تزال تُنغّص حياتها اليومية بشكلٍ ملموسٍ ومُعيق. من صور التمييز المُتغلغلة في فضاءات العمل، إلى حواجز التمييز التي تعترض سبل التعليم، ومن وحشية العنف الأسري، إلى غياب العدالة في المضمار السياسي؛ تُلاقي المرأة تحدياتٍ جمةً لا تُحصى في غمار حياتها. إن هذه التحديات لا تقتصر آثارها بعيدة المدى على المرأة ذاتها فحسب، بل تمتد لتُلقي بتبعاتها على كيان الأسرة بأسرها، وعلى نسيج المجتمع ككل، مُحدثةً فيه شرخًا عميقًا.

يُعد السودان من الدول التي صدّقت على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو)، إلا أنه احتفظ بحقوقه في التحفظ على بعض بنودها الجوهرية، كالمادتين الثانية والسادسة عشرة، والفقرة الأولى من المادة التاسعة والعشرين من الاتفاقية. وتُشدد المادة الثانية على ضرورة دمج مبدأ المساواة بين الجنسين في صلب القانون والسياسة، وتدعيم الحماية القانونية لحقوق المرأة على قدم المساواة مع الرجل. أما المادة السادسة عشرة، فتُلزم الدول الأطراف باتخاذ كافة التدابير اللازمة للحيلولة دون ممارسة أي شكل من أشكال التمييز ضد المرأة في جميع الأمور المُتعلقة بالزواج والعلاقات العائلية.

<u>التمييز في فضاءات العمل:</u>

يُصنف التمييز في محيط العمل كأحد أكثر أشكال التمييز ضد المرأة انتشاراً وشيوعاً. فالمُتفحّص للواقع يرى أن المرأة تواجه عقبات كؤوداً في الحصول على فرص التوظيف اللائقة، وفي الارتقاء الوظيفي، وفي نيل أجورٍ تتسم بالعدالة والإنصاف. ووفقاً لتقارير صادرة عن منظمة الأمم المتحدة، فإن نسبة انخراط المرأة في القوى العاملة لا تتجاوز الـ40%، بينما تصل نسبة الرجال إلى 80%، ما يُشير إلى فجوة واسعة تُعيق تكافؤ الفرص.

<u>التمييز في رحاب التعليم:</u>

يُعتبر التمييز في مجال التعليم أحد أوجه التمييز الخطيرة التي تُحد من طموح المرأة. فالملاحظ أن المرأة تُصادف صعوبات جمة في الوصول إلى فرص التعليم المتكافئة، لا سيما في المجالات العلمية والتكنولوجية الدقيقة. وتشير تقارير الأمم المتحدة إلى أن نسبة المرأة في التعليم العالي لا تتعدى 30%، في حين تصل نسبة الرجال إلى 50%، مما يعكس تحديًا هيكليًا يستوجب المعالجة.

العنف الأسري: وصمةٌ في جبين الإنسانية:

يُمثل العنف الأسري واحداً من أخطر أشكال التمييز المُمارس ضد المرأة. فكثيراً ما تجد المرأة نفسها عاجزةً عن الحصول على الحماية الكافية من هذا العنف، خاصةً في المجتمعات التي تتدنى فيها مستويات الوعي بقضايا المرأة وحقوقها.

وتُفيد تقارير الأمم المتحدة أن نسبة النساء اللواتي يُعانين من العنف الأسري تبلغ 30% على الأقل، وهي نسبة تُنذر بخطرٍ مجتمعيٍّ لا يصح تجاهله.

<u>التمييز في دوائر السياسة:</u>

يُعد التمييز في المجال السياسي وجهاً آخر من أوجه التمييز ضد المرأة. حيث تواجه المرأة عقبات واضحة في نيل فرص المشاركة الفاعلة في الحياة السياسية، خاصة في الميادين القيادية وصنع القرار. وتُظهر تقارير الأمم المتحدة أن نسبة تمثيل المرأة في البرلمانات لا تتجاوز 20%، بينما تُسيطر نسبة 80% من المقاعد على الرجال، مما يؤكد الحاجة الملحة لتعزيز مشاركتها السياسية.

لذا، بات لزامًا علينا وضع استراتيجيات حلولٍ شاملةٍ وفعالةٍ؛ لتعزيز الوعي العميق بالقضايا النسائية، وترسيخ مبدأ المساواة بين الجنسين في كلٍ من التعليم وميدان العمل، وتدعيم سبل الحماية الفاعلة للمرأة من براثن العنف الأسري، بالإضافة إلى إرساء آلياتٍ قوية لتعزيز مشاركتها السياسية. يجب أن نسعى جاهدين نحو بناء مجتمعٍ قوامه العدل والمساواة، حيث تتمتع المرأة فيه بالحقوق والامتيازات ذاتها التي يتمتع بها الرجل، دون أي تمييز أو تفرقة.

د.ستنا بشير

صوت النساء من أجل المدنية والسلام

أوقف انقلاب 25 أكتوبر 2021 مسار التحول الديمقراطي، وأكملت حرب 15 أبريل ما تبقى من مظاهر المدنية، لتتم عسكرة الحياة في السودان بشكل تام. فلا صوت يعلو فوق صوت البندقية، وهو ما سعت إليه قوى الردة والاستبداد منذ البداية.

لعبت أهوال الحرب ومآسيها الدور الأكبر في تشكيل ملامح المرحلة الحالية؛ فما بين النزوح والتشريد، وفقد الأرواح والممتلكات ومصادر الدخل، أصبحت أولوية المواطن السوداني هي البقاء على قيد الحياة، والحصول على مأوى وسد الرمق، مما كان له الأثر الأعظم في تراجع العمل المدني والسياسي والحقوقي.

ومع تطاول أمد الحرب، تأكد للجميع ما طرحه دعاة وقفها منذ البداية، وهو أنه لا منتصر في هذه الحرب. فكل يوم جديد يحمل مزيدًا من الدمار للبلاد، ومن التعذيب والتشريد للمواطنين؛ فمن لم يمت بالحرب مات بالمرض وسوء التغذية، بينما ينعم طرفا الحرب ودعاتها وجميع المستفيدين من استمرارها بفرصة ذهبية لنهب موارد البلاد. يستغلون غياب السلطات العدلية ومؤسسات الدولة لتصفية القوى المدنية وممارسة جرائمهم جهارًا نهارًا دون حسيب أو رقيب، متخذين من تهمة التعاون مع أحد طرفي الحرب حجة لمحاكمة وتصفية المواطنين بالشبهات ودون أدلة، ولترهيب كل من يدعو لوقف الحرب والتفاوض بين طرفيها. ولكن رغم ذلك، لم يستطيعوا إخراس صوت الحق والضمير الإنساني. فقد ارتفع الصوت الرافض لاستمرار الحرب والداعي لوقفها فورًا بين نساء السودان الصامدات، المكتويات بالنصيب الأعظم من ويلات الحرب والانتهاكات المصاحبة لها؛ في مناطق النزوح واللجوء ومراكز الإيواء وحول العالم.

استجبن لنداء المسؤولية الوطنية بتكوين التنسيقية النسوية الموحدة لوقف الحرب، لتوحيد جهود التنظيمات النسوية، وكتل الكنداكات، وقوى المجتمع المدني الرافضة للحرب واستمرارها، وللعمل لاحقًا في إطار جبهة شعبية عريضة للديمقراطية والتغيير مع مختلف القوى المدنية من نقابات وأحزاب سياسية وتنظيمات مهنية وعمالية وقوى مجتمع مدني، للضغط على طرفي الحرب للعودة للتفاوض، والعمل على إنهائها.

زاوية مضيئة

د.توتا صلاح المبارك

و... ضاع شادي

التقيا بأرواحٍ متمردة وقلوبٍ ثابتة، بين جدران المدينة وفي خضم تظاهراتها الهادرة، حين كانت الأيام حُبلى بزخم الثورة وعنفوان النضال. كانت هي يافعةً تَقْطُر أحلامًا، تَضُج ثورةً، وتَنضح أَلَقًا. أطلقت مرتبكةً، وهي تُلقي شلال أسئلة على شاب كان يقف بجانبها ويبدو منهمكًا، غارقًا بكلياته في رسم جدارية: "لِمَ كل هذه الرموز الغاضبة؟ لِمَ كل هذه الألوان القانية؟ لِمَ كل هذا البركان الثائر؟" أجابها: "هذه دواخلي، هذا أيضًا الوطن." ضحكت مرة أخرى بفرح طفولي غامر عندما عرفها أن اسمه "شادي". أخبرته أن هذا اسم أخيها الذي قرر ألا يأتي لعالمنا الممهور ظلمًا وقهرًا! فقد كانت أمها عاشقة لصوت "فيروز"، ولَكَم سالت دموعها وهي تذوب وجدًا مع أغنية "شادي". لذا، اختارت هذا الاسم لابنها- الحلم: "من زمان أنا وصغيرة
كان في صبي يجي من الحراش
ألعب أنا وياه.. كان اسمو "شادي"
ويوم من الأيام ولعت الدني
ناس ضد ناس علقوا بهالدني
وصار القتال يقرب على التلال
والدني دني وعلقت على أطراف الوادي
شادي ركض يتفرج
خفت وصرت انده له.. وينك رايح يا شادي
انده له وما يسمعني
ويبعد يبعد بالوادي
ومن يومتها ما عدت شفته
ضاع شادي..."

لما قالت إن اسمها "صافي"، فاجأها بقوله إن اسمها يماثل ضحكتها "صفاءً ونقاءً"! شادي كان شعلة غضب وتحدٍ تُطفئ بعض حدتها خطوطُ رسمٍ وتعرجات ألوان يقذف بها من عمق وجدانٍ ملتهب!

ابتسمت "صافي" لنفسها وهي تحس تمازج وتناغم الثورة والغضب و... الحنين! كلا الاثنين كان يسكنه هاجس الفن والثورة، ويمتزج بذاته عشق الأرض والالتصاق بترابها. فلا غرو أن غدا التظاهر والتغني هتافًا بـ"حرية، سلام، وعدالة" متنفسًا لبركان التحدي بدواخلهم الثائرة. كما غدا الفن والرسم أداةً لنثر وانسكاب شلالات الحلم والحب والثورة، فأتت جداريات "اعتصام القيادة" تتحدث بصوت الضوضاء والصمت معًا. كانت اللوحات الجدارية التي أبدعوها تحتضن أحلامهم، وتطلق طاقاتهم لتحررها وتترجمها جمالًا يثري النفوس، وتنقش أحاسيس دافقة لتُغالب عاهات الوطن المغبون. عندما حل "الظلام" ذات "صبح" حزين، وهجمت جموع العسكر والتتار على "أعلى النفق"، قُتل الرفاق وأُغرق الصِحاب، وانهارت مدينة الأحلام والأحباب، فدُمرت لوحاتهم ورموزهم و...:
"استُشهِد السلام في وطن السلام
وسقط العدل على المداخل
وسقط العدل، سقط العدل على المداخل"

وهكذا تغنى الوجدان وتغنى السودان كما فعلت "فيروز". صافي وشادي صمدا كالصخر في وجه عاتيات العواصف! في سانحات الهدوء الحزين بين "فض الاعتصام" وارتقاء الشهداء، تواصلت مسيرات الثورة المختطفة لتُشعل شموع الأمل والحنين في قلوبهما المتعبة المنهكة. وما بين حلم "المدنية" المُغَيَّب بأنياب خطيئة ٢٥ أكتوبر و"بوت" العسكر، لا تنطفئ أحلام الشباب حتى وإن غبش بريقها جشع "الكبار" وكيدهم و... نيران حربٍ ضروس أشعلوها فأحرقت الوطن!

هكذا توافق "صافي" و"شادي" أنه كما ألف بينهما الوطن والحب والثورة، لن تفلح قسوة الحرب في بذر الشتات الدائم! صافي ذهبت حزينة ملتاعة مع أهلها إلى مصر. أما شادي فكان نزوعه عمقًا في السودان... توادعا وتواعدا أن يلتقيا في وطن آمن يصدح فيه السلام وتتهادى الحرية، وطن بلا جور عسكر أو غبن تتار.

صمود رغم الدمار:

المرأة السودانية في مواجهة الحرب.. قصة معاناة ونضال من أجل السلام

حاجة فضل كرنديس

لطالما كانت المرأة السودانية رمزًا للصمود والتحدي، وتجسيدًا حقيقيًا للقوة في مواجهة الأزمات والصراعات التي عصفت بالبلاد. لكن الحرب المستمرة منذ ما يقارب ثلاث سنوات ألقت بظلالها الكئيبة على حياتها، فغدت مرآة تعكس ألوانًا من المعاناة في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والصحية. هذه المعاناة لا تقتصر على فقدان الأحبة وانعدام الأمان، بل تمتد لتشمل التمييز، والاضطهاد، والعنف الجسدي والنفسي الذي يفتك بكرامتها.

ومع كل هذه الجراح، تظل المرأة السودانية شعلة أمل وقوة فاعلة في النضال من أجل السلام، ومحركًا أساسيًا لإعادة بناء الحياة الكريمة لها ولأسرتها. تستحق هذه المرأة كل الدعم والتقدير، فهي ليست مجرد ضحية، بل صانعة للتغيير.

معاناة تتجاوز الوصف

تتجلّى أكبر معاناة للمرأة في ظل هذه الحرب في فقدان أفراد أسرتها، سواء بالقتل، أو الاختطاف، أو الهجرة القسرية. فالنساء والأطفال هم الأكثر عرضة للعنف والتشرد، مما يترك أثرًا عميقًا على صحتهم النفسية. تعيش المرأة في حالة قلق مستمر، يمزقها الخوف على مصير أبنائها، ويزيد من معاناتها النفسية واضطرابات ما بعد الصدمة، بالإضافة إلى الحزن الذي لا يغادرها. كما أن تفرق شمل الأسرة الواحدة، سواء باللجوء خارج الوطن أو النزوح إلى مناطق آمنة داخل السودان، يترك في قلب المرأة خوفًا دائمًا على عائلتها وأمن أسرتها وأهلها.

وتعدّ النساء السودانيات من أكثر الفئات عرضة للعنف الجنسي خلال فترات النزاع. فغالبًا ما تُستخدم المرأة كوسيلة للانتقام أو للابتزاز، أو كأداة للانتقام العسكري. تنتشر حالات الاغتصاب والاعتداءات الجنسية بشكل واسع، وتُستخدم كوسيلة لترويع المجتمع وإضعافه. هذه الانتهاكات تؤدي إلى آثار طويلة الأمد على الصحة الجسدية والنفسية للنساء، وتفاقم من مشكلات الزواج والأسر. والمستجد على الساحة الآن هو قتل النساء، وسبيهن، وظاهرة بيع النساء كسلعة في أسواق بعض دول الجوار.

بالإضافة إلى ذلك، تدمر الحرب البنية التحتية وتؤدي إلى توقف الحياة الاقتصادية، مما يضاعف معاناة المرأة التي تعتمد على العمل اليومي لتوفير لقمة العيش. فقدت العديد من النساء وظائفهن أو أُجبرن على العمل في ظروف غير آمنة أو غير مستقرة، ويجدن أنفسهن عاجزات عن توفير الاحتياجات الأساسية لعائلاتهن، خاصة في ظل ارتفاع معدلات الفقر والبطالة.

تأثرت فرص التعليم بشكل كبير في مناطق النزاع، حيث تتعرض المدارس للهجمات أو تُغلق، مما يحرم الأطفال، خاصة الفتيات، من التعليم. تواجه المرأة التي تسعى لتعليم أبنائها أو لنيل حقها في التعليم تحديات كبيرة، منها ضعف البنية التحتية، والتمييز، والخوف من العنف، وهو ما يزيد من مستوى التهميش الذي تعانيه.

وتعدّ الرعاية الصحية من أبرز التحديات، حيث تتعرض المراكز الصحية والتجهيزات للخطر، ويصعب على النساء الحصول على الخدمات الصحية الأساسية، خاصة في حالات الولادة أو الأمراض المزمنة. كما أن النساء يعانين من نقص في وسائل منع الحمل، والخدمات النفسية، والرعاية الصحية للحالات الطارئة مثل الكوليرا التي انتشرت بشكل مخيف وحصدت الأرواح، هذا غير بعض الحميات المجهولة وحالات الاختناق.

لا يمكن إغفال التمييز الاجتماعي والثقافي الذي تعاني منه المرأة السودانية، خاصة في مناطق النزاع، حيث يُنظر إليها أحيانًا على أنها مسؤولية الأسرة أو المجتمع، وتُحمّل أعباء عائلية ضخمة، بالإضافة إلى قيود ثقافية تحد من مشاركتها في الحياة العامة. وفي حالات النزاع، تتفاقم هذه القيود، وتُفرض على النساء قيود إضافية، مما يحد من حريتهن وحقوقهن.

حلول طارئة ودائمة لمستقبل أفضل

لمواجهة هذه التحديات، تبرز الحاجة الملحّة إلى حلول شاملة وفعالة. من أبرز هذه الحلول:

- تعزيز الحماية القانونية والحقوقية: من خلال تفعيل القوانين ووضع قوانين صارمة تجرم العنف الجنسي والاعتداءات على المرأة، وضمان تطبيقها بشكل فعال من قبل الجهات المعنية. كذلك، إنشاء مراكز حماية للنساء المعرضات للخطر، وتقديم الدعم القانوني والنفسي لهن. وتدريب الشرطة والجهات القضائية على التعامل مع قضايا النساء في ظل النزاعات لتعزيز العدالة.
- دعم الخدمات الصحية والنفسية: بإنشاء مراكز صحية متنقلة في مناطق النزاع، وتوفير الخدمات اللازمة للنساء، خاصة في حالات الولادة، والأمراض المزمنة، والصحة النفسية. بالإضافة إلى تنظيم برامج علاج نفسي وتأهيل نفسي للنساء المتضررات من الحرب، لمساعدتهن على تجاوز الصدمات.
- تمكين المرأة اقتصاديًا واجتماعيًا: من خلال توفير برامج تدريب مهني للنساء، لتمكينهن من الاعتماد على أنفسهن وتحقيق الاستقلال المالي. ودعم المشاريع الصغيرة للنساء من خلال التمويل والتدريب، لخلق مصادر دخل مستدامة. وإعادة فتح المدارس وتوفير برامج تعليمية مرنة للفتيات والنساء، بما يتناسب مع ظروف النزاع.
- تعزيز الوعي والتثقيف: بإطلاق حملات توعية مجتمعية حول حقوق المرأة وأهمية حماية النساء من العنف والتمييز. وتمكين النساء من المشاركة في عمليات السلام، وصنع القرار، والمبادرات المجتمعية.
- دعم وتطوير المؤسسات الحقوقية والمنظمات غير الحكومية: بتمكين المؤسسات ودعم منظمات حقوق الإنسان والنساء، وتمكينها من تقديم خدماتها بشكل فعال. والتعاون مع منظمات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية لدعم برامج حماية المرأة.
- بناء السلام وإعادة الإعمار: العمل على تحقيق سلام دائم وشامل، يضمن حقوق المرأة ويضعها في صلب عملية البناء. ودعم مشاريع إعادة بناء المناطق المتضررة، وتوفير فرص عمل، وتحسين البنية التحتية.

نساء سودانيات يضيئن دروب الأمل

بالرغم من كل المعاناة، هناك نساء سودانيات أبدين مقاومة وشجاعة في مواجهة الصعوبات، وأسسن منظمات ومبادرات لدعم المجتمع، مثل:

- النساء في دارفور: اللاتي أسسن جمعيات للدفاع عن حقوق النساء، وتقديم الدعم النفسي والاجتماعي.
- التنسيقية النسوية الموحدة: التي تضم مجموعة من التنظيمات النسوية، وقد ولدت شامخة ووضعت بصمتها على المشهد خلال الحرب.
- منظمات نسوية خارج السودان: مثل "نساء من أجل السلام" في لندن، التي تعمل بجد من أجل الناجيات من الاغتصاب وغيره.
- مبادرات التعليم: مجموعات نسائية تطلق برامج تعليمية في المناطق التي تشهد نزاعات، بهدف تمكين الفتيات من التعليم.
- منظمات تدعم مشاركة النساء في لجان السلام: وتوصيل أصواتهن للمفاوضات.

تبرز هذه القصص أهمية العمل الجماعي، والدعم المجتمعي، والتضامن من أجل تمكين المرأة السودانية، وإعادة بناء حياة كريمة لها.

استثمار في المستقبل

وبعد..

إن معاناة المرأة السودانية في ظل الحرب طويلة ومعقدة، وتحتاج إلى جهود جماعية ومستمرة من المجتمع، والحكومة، والمنظمات الدولية، والمؤسسات الحقوقية. لا يمكن إغفال الدور الحيوي الذي تلعبه المرأة في بناء السلام والتنمية، فهي ليست فقط ضحية، بل أيضًا فاعلة رئيسية في عملية التغيير.

من خلال تفعيل القوانين، وتوفير الحماية، وتعزيز القدرات الاقتصادية والاجتماعية، وتوفير خدمات صحية ونفسية، يمكن تخفيف معاناة المرأة، وتمكينها من لعب دور أكبر في مستقبل السودان. إن استثمارنا في المرأة هو استثمار في مستقبل البلاد، إذ أن تمكين المرأة هو مفتاح لنهوض وازدهار المجتمع ككل.

ناهد بشير الباقر..

صحفية في الاتحاد الدولي

في غمار الإنجازات التي تُضفي على الوطن بهاءً، تبرز الصحفية الرياضية السودانية ناهد بشير الباقر كرمزٍ مُضيء، حيث حصدت المركز التاسع المتقدم ضمن القائمة الأفريقية لأفضل مقال في مضمار مسابقة جوائز الاتحاد الدولي للصحافة الرياضية (AIPS). جاء هذا التكريم تتويجاً لمقالها المتميز الذي عَنْوَنته بـ "التمييز ضد المرأة والصعوبات التي تواجهها في ممارسة المهنة".

لقد شكّل هذا المقال، بنفاذه وبصيرته، مرآةً عميقةً تعكس قضايا المرأة في مِضمار الإعلام الرياضي. فقد سلط الضوء بكفاءة متناهية على التحديات البازغة التي تُعيق مسيرة المرأة في هذا المجال الحيوي، مُقدمًا رؤيةً مُتأنيةً تُشْرِع الأبواب لفهم أعمق للمُعوِّقات التي تحُول دون مشاركتها الفاعلة في هذا القطاع. وقد حظي المقال بإشادة...

تعاون عالمي لإنتاج فيلم يخلد قصة "هند رجب"

أعلنت مجلة "فارايتي" العالمية أن المخرجة التونسية كوثر بن هنية تعمل على تحويل قصة الطفلة الفلسطينية هند رجب، التي استُشهدت في يناير 2024 بعد ساعات من مناشدتها المسعفين أثناء حصارها داخل سيارة في غزة، إلى عمل درامي. ويُصوَّر الفيلم حاليًا في تونس، وهو من إنتاج التونسي نديم شيخ روحه، إلى جانب الكندية أوديسا راي والبريطاني جيمس ويلسون، ضمن تعاون دولي. وتُعرف بن هنية بأفلامها المرشحة للأوسكار، وتسعى من خلال هذا العمل إلى توثيق معاناة المدنيين الفلسطينيين، لا سيما الأطفال، في ظل الإبادة المستمرة في غزة. وقد أثارت قصة هند تعاطفًا واسعًا بعد مناشدتها النجدة قائلة: "أنا خائفة جدًا.. أرجوكم تعالوا"، قبل أن يُعثر على جثتها بعد عشرة أيام مع عدد من أفراد عائلتها.

المنفى الرقمي.. مقاومة نساء السودان في زمن الحرب

في السودان، حيث الوطن مقبرة مفتوحة ومخيمات النزوح بيوتًا مؤقتة بلا أبواب، لجأت كثير من النساء إلى فضاء آخر، لا يُقصف ولا يُقتحم ولا تُنتهك فيه أجسادهن، في محاولة للفكاك من واقع مرير فرضته الحرب. منذ اندلاع النزاع، أصبح النزوح إلى المنفى الرقمي عبر وسائل التواصل الاجتماعي ملاذًا لأرواحهن الهشّة، سعيًا لإثبات ذواتهن المقاومة وإيجاد مساحة للبقاء. لقد أُغلقت أمامهن أبواب التعليم والعمل والظهور العام، وباتت الكلمة الافتراضية هي الحضور الوحيد الممكن. هكذا، أخذت النساء السودانيات يؤسسن لأنفسهن وجودًا موازيًا، لا يعبأ بحدود الجغرافيا ولا يصادره خطاب الحرب بكل تداعياته. أصبح الهاتف بحد ذاته امتدادًا لقدرتهن على التعبير والولوج إلى عوالم الميديا، وتفريغ طاقتهن السلبية أو الايجابية عبر الكتابة أو الفيديوهات ومشاركة القصص مع الآخرين.

تحديات المنفى الرقمي

غير أن هذا المنفى الرقمي ليس متاحًا للجميع. ففي كثير من مخيمات النزوح، لا يوجد ما يمكّن النساء من الولوج إلى العالم الرقمي: لا شبكات اتصال مستقرة، ولا طاقة كهربائية منتظمة، ولا حتى أجهزة ذكية في متناول اليد.هذا يعقد مهمة الناشطات السودانيات العاملات في مجال الدعم النفسي للنازحات داخليًا، ولسان حالهن يقول: "نكتب عنهن وندافع عن قضاياهن، لكنّهن لا يرين ما نكتب. كثير منهن لم يفتح حسابًا يومًا، ولا يعرفن ما هي وسائل التواصل الاجتماعي. حتى صوتهن في الفضاء الرقمي، يُكتب بالنيابة".

هكذا يتحول الفضاء الرقمي، الذي يُفترض به أن يكون حقًا للجميع، إلى امتياز يُضاف إلى قائمة طويلة من الامتيازات المنكرة في سياق الحرب، حيث تختلط الكثير من التداعيات، وتُقصى النسوة مرة أخرى، ولكن هذه المرة بـ "صمت تكنولوجي".

مساحات للمقاومة والتعلم

رغم ذلك، وجدت كثير من النساء السودانيات في هذا الفضاء مساحة للمقاومة والتعلم. فبينما أُغلقت المدارس والجامعات، لجأن إلى الدورات التعليمية المجانية عن طريق مقاطع "يوتيوب" ومجموعات "تلغرام"، لتطوير معارفهن في مجالات متعددة مثل التصميم والبرمجة واللغات والإسعافات الأولية. شكلت هذه المنصات وسيلة لتجاوز العزلة القسرية وبناء أدوات للمقاومة اليومية، حيث أصبح التعلم الرقمي فعلًا من أفعال الصمود، وسبيلًا للتمكين الذاتي في وجه واقع ينهار.

لم تنتظر النساء السودانيات من يمنحهن منصة، بل صنعنها بأنفسهن. لم يكتفين بالبكاء على الخراب، بل التقطنه بعدساتهن ودوّنّ آثاره، ليقلن للعالم: "كنا هنا ورأينا كل شيء". كان البودكاست وسيلتهن لتناول معاناة الشعب السوداني، وذهبن إلى سرد تفاصيل صغيرة غالبًا ما تغيب عن التغطيات الإخبارية أو لا تُكتب.

في كل منشور، صورة، تعليق، أو حتى تسجيل صوتي، تُبنى سردية أخرى للحرب؛ سردية لا تُكتب من مقرات وكالات الأنباء، ولا توثّقها كاميرات المراسلين، بل تنبثق من شاشات صغيرة بين أيدي نساء يجاهدن للبقاء مرئيات وسط العتمة. هذا الأرشيف العفوي، الحميم، والملتبس، هو اليوم أحد أكثر أشكال الذاكرة السودانية حيوية.

التوثيق والتضامن الرقمي

إن ما تقوم به هؤلاء النساء لا يندرج فقط تحت مسمى "الوجود الرقمي"، بل يتجاوز ذلك ليشكل فعلًا من أفعال التوثيق، والتمسك بالذات، وتدوين معاناة غير مرئية في السرد الرسمي للحرب.

وفي الفضاء الرقمي أيضًا، نشأت جسور من التضامن بين النساء داخل السودان ونساء المهجر. البعض منهن أنشأن مجموعة على تطبيق "واتساب" لتبادل الخبرات حول الأمان الرقمي، والحماية من الابتزاز، وإعدادات الخصوصية.

أخريات قمن بعمل مجموعات للمساعدات الإنسانية أو الاستشارات الطبية. هذا النوع من المساندة – البسيط والفعال – يشكل ملامح شبكة مقاومة نسوية، غير رسمية، تتجاوز الخرائط واللغات، لكنها تُجذّر الشعور بالانتماء في زمن التهجير.

الخاتمة: لا ريب أن المنفى الرقمي لا يعوّض فقدان الوطن ولا يضمد جراح الحرب، لكنه بالنسبة لكثير من السودانيات المساحة الأخيرة التي يمكن من خلالها التخفيف من تداعيات واقع مرير.

ربما، حين تنتهي هذه الحرب، سيبقى من كل ذلك أرشيف منشور، ورسائل مقروءة، ومقاطع صوتية مرتجفة، تشهد أن النساء السودانيات لم يصمتن. بل كتبن، وصرخن، واحتفظن بالذاكرة حية، ولو بين سطور "المنفى الثاني".

كلمات نازحة

لميس عربي

عسكرة رياض الأطفال

تسعى بعض إدارات رياض الأطفال الخاصة بولاية نهر النيل لكسب ود الجيش، لأنهم يدركون أن الحرب ومن سعوا إليها كان هدفهم محاربة ثورة ديسمبر وترسيخ ثقافة "العسكرة" قسريًا في أذهان الأطفال الذين عانوا من ويلات حربهم.

هذا يتم من خلال إدخال مفاهيم العسكرية في رياض الأطفال قبل أن تنضج عقولهـــم الغضة ويصبحوا شبـابًا، فقد يثورون عليهم بحراك يقتلعهم مثلمـا اقتلعتهم ثورة ديسمبر المجيدة.

لقد وعى "العساكر" ومن شايعهم الدرس، ويسعون لتشكيل عقلية تتقبلهم كأبطال حررونا من الدعم السريع صنيعتهم. هذا الحديث ليس محض افتراء، فما حدث بولاية نهر النيل في إحدى قرى بربر خير دليل. تفاجأت أمهات الأطفال الذين أجبرتهم الحرب على النزوح إلى ولاية نهر النيل بمدينة بربر، ممن ألحقوا أطفالهم برياض أطفال خاصة، عقب انتهاء العام الدراسي والاستعداد لتخريج أول دفعة من روضة "ك" (الاسم غير واضح في النص الأصلي) باختيار المعلمات مجموعة من الأطفال (أولاد وبنات) لتقديم فقرات منوعة في حفـــل التخريج.

وقد عملن بروفات لفقرات متنوعة، من بينها فقرة عسكرية، وقمن باستجلاب خبير عسكري لتدريب الأطفال وفقًا لحديث أمهات الأطفال وتدريبهم عسكريًا عليها لحفل التخريج. تفاجأت الأمهات بحضور أطفالهم منهكين عقب البروفة الأولى.

الأمر الذي استهجنته بعض الأسر واعتبرته غير مناسب للأطفال في مرحلة التمهيدي، خاصة وأن أغلب الأطفال كانوا من الذين نزحوا بسبب الحرب التي تسببت لهم في شروخ نفسية، وأصبح الزي النظامي بمثابة ذكرى مخيفة. فكيف لمعلمات تربويات أن يقترحن فقرة مارش عسكري أو أي كان الاسم ضمن حفل تخريج، وتقول بعض كلمات الفقرة المصحوبة بموسيقى: "وصونا قالوا لينا الشردة عيب وشينة، الراجل الحمش فوق الجمر بمشي" بمعنى عندما تكون في معركة الكرامة إذا شرد الجندي من ميدان المعركة (الشردة شينة) ويجب عليكم المسير على الجمر.

تخيل طفلًا عمره أربعة إلى خمسة أعوام يردد عبارات قاسية كالمشي على الجمرا! فبالله عليكم أي تربية هذه؟ استغلوا ظروف الحرب التي أجبرت العديد من الأسر قسريًا على الانتقال إلى الولايات، مما أدى إلى "برجلة" حياتهم وصار أمر ترتيبها كما كانت شبه مستحيل. فألحق بعضهم أطفاله بمدارس حكومية واختار آخرون مدارس ورياض أطفال خاصة على أمل أن يحصل أطفالهم على محتوى دراسي يؤهلهم لمستقبل أفضل، ولكن هيهات..

حتى لا ننسى:

كمالا إبراهيم إسحاق.. أيقونة تشكيلية سودانية قاسمت درويش وهج الجائزة

تُعدّ الفنانة التشكيلية السودانية كمالا إبراهيم إسحاق، المولودة في أم درمان عام 1939، قامةً فنيةً فريدةً جمعت بين عوالمَ شتى. اسمها المستلهم من الهند، يوشمُ فنّها المتجذّرَ في عمق التراث السوداني، من زخارفَ وأشكالٍ خطتها أناملُ النساء المحليّات. نهلت من أكاديمية بريطانيا، وصهرت روحانية الشاعر الإنجليزي ويليام بليك بعبق جلسات "الزار" السودانية، لتنسجَ لوحاتٍ آسرةً تتداخلُ فيها النساءُ بالأشجار، جاذبةً اهتماماً عالمياً توّجته جائزة الأمير كلاوس في هولندا عام 2019.

هذه الجائزة الرفيعة، التي تُعدّ اعترافاً بمسيرةٍ فنيةٍ امتدت لأكثر من نصف قرن، وسمت خلالها كمالا بوضوحٍ مسارَ الحداثةِ الفنيةِ السودانيةِ وريادةَ المرأةِ في التشكيل، فضلاً عن دورها الأكاديمي الملهم. وبتتويجها هذا، قاسمتْ كمالا ذاتَ الجائزةِ التي نالها الشاعرُ المناضلُ محمود درويش عام 2004.

اشتهرت كمالا بريادتها في تطوير "الفن المفاهيمي" وتوجيهها لـ"المدرسة الكريستالية" في السبعينيات. غير أنها تأبى أن تحبسَ إبداعها في إطارٍ واحدٍ، فتتنوع أشكالها ومصادرها التعبيرية، مؤمنةً بأن الحاجة الفنية الداخلية وحدها هي من يرسمُ طبيعة العمل.

لقد مزجت كمالا تجربتها الروحية المستوحاة من بليك بدراساتٍ ميدانيةٍ عن "الزار" السوداني، مُضيفةً إلى أعمالها عناصرَ طقسيةً صوفيةً وأفريقيةً. تتجلى في لوحاتها نزعةٌ صوفيةٌ شفافةٌ تدمجُ البشرَ بالشجرِ، معبرةً عن وحدة الوجود. كما تستلهم من الفولكلور السوداني الثري، خاصةً الزخارف والنقوش النسائية، ومن جذور الحضارات القديمة التي اكتشفتها خلال عملها في ترميم الآثار.

لا تكتفي كمالا باستلهامها من المصادر التاريخية والفلكلورية، بل تستمد الإلهام من تجاربها اليومية، مُضفيةً عليها أبعاداً أسطوريةً. تُوصف كمالا بأنها محفزٌ ثقافيٌّ وقوةٌ مُلهمةٌ لجيل الفنانين السودانيين الشباب، إذ ركزت على المرأة في أعمالها الفنية والتعليمية، لا من منطلقٍ نسويٍّ نظريٍّ، بل من صميم تجربتها الوجودية كامرأة في المجتمع السوداني.

عودتُها من دراستها في الغرب لتنهلَ من طقوس السودان ورموزه وتجاربه الروحية، ثم تتويجها بجائزة عالمية، يعكسُ ما يمكن وصفه بـ "موسم الهجرة إلى الجنوب"، مقلوبةً بذلك عنوان رواية مواطنها الطيب صالح، لتثبت أن الأصالة والحداثة يمكن أن تلتقيا وتخلقا فنًا عالميًا خالداً.

بين أنياب الموت ووهج الروح:

حكاية (ع) التي زاحمت الأيام لِمَواراةِ ثرى والدها..

تُدوّنُ حكاية (ع) من قلب فجيعة لا تُنسى، كلماتٍ مُتكسّرةً، يلفّها صوتٌ مبحوحٌ يقطر مرارةً، بينما تُغالِبُ دمعاتٍ لا تُحصى، وهي تستعيدُ في ذاكرتها تلك الليالي السوداء التي عصفت بمدينة الجنينة، حاضرة ولاية غرب دارفور. تقول: "بعد ثمانية عشر يوماً قضيناها في سباق مع الموت، استطعتُ أن أستر جثمان والدي الطاهر، وأواريَهُ الثرى، هو ومن قُتلوا معه غدراً، لم تشفع لهم أعمار كبار السن منهم، ولا ضعف المريض. كنا نتحرك فجر كل يوم، عقب صلاة الصبح، مستغلين غياب ارتكازات الدعم السريع، ونتوجه نحو المنزل حيث كانت الجثث تُنتظر دفنها. نبدأ في حفر القبور، وما إن تُشرق الشمس وتنهال علينا الرصاص كالمطر من بنادق القناص الذي يعتلي قمة الجبل، حتى نُجبر على الانسحاب، ونعود أدراجنا من حيث أتينا". أحداثٌ عصفت بالمدينة من أبريل حتى منتصف نوفمبر 2023، متّبعةً بأيام قليلة لاندلاع الحرب في الخرطوم في 15 أبريل 2023، لتُخلّفَ آلاف الضحايا من المدنيين.

دروب شائكة.. نحو قلب الألم

تروي (ع) فصول رحلةٍ قاسيةٍ اضطرت هي وشقيقتها ونسوةٌ أخريات إلى خوضها، مُتسلّقاتٍ دروباً شائكة، وأزقةً لم تخلُ من خطورة الرصاص المُنهمر من كل صوب. على مدى ثلاثة أيام متتالية، تكررت رحلة الذهاب والإياب المضنية، سعيًا للوصول إلى منزلهم حيث كانت تتأرجح جثث والدها الشيخ، وأخيها، وابن شقيقتها، وابن خالتها، وعمها وابنه، وابن ابنته. كانوا جميعاً ينتظرون من يأتِ ليحفر لهم قبوراً تُدفن فيها أجسادهم الطاهرة. لم تُثنِها أصوات الرصاص المخيفة، ولا نيران القناص الذي استهدفها بوضوح، عن القيام بواجبها المقدس تجاه والدها الشيخ الجليل. فقد ظلت (ع)، التي بلغت ربيعها الخمسين، تُكافح بشجاعة نادرة من أجل مواراة جسد والدها الطاهر ومن قضوا معه غدراً على أيدي الغدر.

جثمان والدها الشيخ عبد الله ومن معه دون دفن، ليُلاقي المصير ذاته الذي حلّ بآلاف الجثث التي تحللت في العراء، تُعد واحدة من آلاف القصص التي نسجتها نساء السودان. نساءٌ لم يمتن حقيقةً في ساحات القتال، بل ماتت أرواحهن من فرط المعاناة وويلات الحرب بأشكالها المتعددة، ولم تصل أصواتهن ومعاناتهن إلى أسماع العالم، على الرغم من أنهن الأكثر تضرراً من هذه الكارثة. لذا، حاولنا أن نُفرد هذه المساحة لتصوير جزءٍ يسير من هذه المعاناة الإنسانية الفادحة.

وبحسب التقارير الصادرة عن الأمم المتحدة، فقد خلّفت الحرب الدائرة بين القوات المسلحة وقوات الدعم السريع في السودان أكبر أزمة إنسانية على مستوى العالم، حيث تجاوز عدد النازحين الثمانية ملايين شخص، منهم 88% من النساء والأطفال، ما يؤكد حجم المأساة التي تعيشها البلاد.

الذعر: تحولات قاسية في ليلة وضحاها

تُقول (ع) لـ"الهدف" بقلبٍ يعتصره الألم، كيف تحوّلت حياتها بين عشية وضحاها من امرأة تعيش في كنف منزلها إلى امرأة نازحة، ثم إلى لاجئة. تقول: "حين اندلعت الحرب، خرج الجميع مذعورين، لا يدركون إلى أين يتوجهون. على الرغم من أننا شهدنا أحداثاً مشابهة من قبل في الجنينة، التي اعتادت أن تشهد توترات متقطعة، وكنا نُجبر على الخروج من منازلنا والبحث عن ملاذ آمن، إلا أن هذه المرة كان الضرب قاسياً، وصوت الرصاص والقذائف يملأ الأجواء. خرجنا، كما الآلاف، بعد أن طُردنا بقوة السلاح، ولجأنا إلى حي الزهور لأنه كان الأكثر أماناً حينها. وتواصل (ع) سردها: "عندما اقتحموا الحي، كان والدي يقرأ في مصحفه، وقد بدأوا في هدم المنا زل، فطلب منهم الكف عن ذلك. بقينا في حي الزهور أياماً عدة، والاشتباكات مستمرة. حينها علمت أن والدي الشيخ، وهو شيخ الحلة ويعمل بمجمع المحاكم بمدينة الجنينة، قد قُتل ومعه ستة آخرون: أخي، وابن أختي، وابن خالتي، وعمي وابنه، وابن ابنته."

صعوبة الوصول.. وتحدي الأجساد

تُكمل بمرارةٍ لا تُطاق: "بعد أن علمنا بمقتلهم، قررنا الذهاب لدفنهم، لكننا لم نتمكن من الوصول. في اليوم التالي، ومنذ الصباح الباكر، حاولنا مرة أخرى ووصلنا حتى بنك الخرطوم، لكنهم لم يسمحوا لنا بالمواصلة، حيث كانت عربات الدعم السريع مرابطة بالقرب من المكان". وتتابع وهي تعتصر ألماً وحزناً: "مرة أخرى، حاولنا الوصول عبر طريق آخر، مروراً بالاستاد، غير أن جميع الطرق كانت مغلقة بالارتكازات، فعُدنا أدراجنا. في صبيحة اليوم الثالث، وعقب صلاة الصبح، حضر إلينا أحد جيراننا، وهو من القوات النظامية، ليؤدي واجب العزاء. طلبت منه أن يكون مرافقنا، وبالفعل حضر ومعه آخر، وذهبنا سوياً. ولكن عندما وصلنا إلى المنزل، لم نجد أي أثر لجثة والدي. واضطررنا للعودة بسبب المناوشات والانتشار الكثيف للمحاربين الراكبين."

"عقب ذلك اليوم، علمتُ من بعض الأقرباء أن والدي المقتول كان مُلقى عند الممر الثاني للمنزل. فتوجهنا في تمام الساعة الثالثة صباحاً، وتحركنا من حي الشاطئ، مروراً بالمستشفى، ثم سوق الهداهيد، ومنه إلى إدارة المرور، ثم الاستاد، مروراً بسوق قندهار، ثم حي الثورة جنوباً، حتى وصلنا ووجدنا جثة والدي في ذلك الممر تحت إحدى الأشجار. قمنا بحمل الجثمان وإدخاله إلى المنزل. أما ابن أختي، فكان مقتولاً في إحدى الغرف، وكذلك ابن خالتي. أما أخي، فوجدته بجانب جثة عمنا وابنه وابن كريمته داخل المخزن الذي كنا نستخدمه لتخزين المحاصيل."

معاناة متزايدة.. وصراعٌ ضد التحلل

(ع)، التي ذاقت مرارة الأمرين (عدم دفن والدها ومن معه) و(حرقة كبدها على فقدانهم)، تقول: "كنت في حالة من الذهاب والإياب يومياً، وعلمت بأنه تم إخطار الهلال الأحمر، غير أنه مُنع من رفع أي جثة من حي الثورة. مع العلم أنه كانت هناك جثث لأعداد كبيرة من الشباب ملقاة على قارعة الطريق. ظلت لأكثر من عشرين يوماً وهي مُلقاة في الشوارع، ولم يتم سترها، فمنهم من تحلل، ومنهم من جرفته المياه". وتواصل ووجهها يرسم ملامح لا تفسر من شدة الحزن: "بعد مرور تسعة أيام، التقيت بمولانا (محمد) بحي الزهور، فاستفسرته قائلة: (ما العمل؟) فرد عليّ بأن جمعية الهلال الأحمر قررت ستر جميع الجثامين، إلا أنه تم منعهم من الدفن. فطلبت منه أن أقوم بستر والدي ومن معه، فقال لي: (ممكن)، وردد عبارة: (الروح عند الله، وهو أعلم بها، ولكن الجسد لا بد من ستره)." "عدنا مرة أخرى إلى حي الشاطئ، وعند مطلع صبح اليوم التالي عدنا إلى حي الثورة، حيث لم يكن هناك أي ارتكاز في ذلك الوقت، وبدأنا في حفر المقابر، ولكننا لم نتمكن من مواصلة الحفر، وذلك بسبب وجود أحد القناصين على الجبل، وكثرة الرصاص المُتجه نحونا، فاضطررنا إلى ترك الحفر والعودة مرة أخرى من حيث أتينا."

عزيمة وإصرار.. حتى الرمق الأخير

(ع)، التي لم تلن عزيمتها في دفن تلك الجثامين، ولم تُبالِ بمخاطر الطريق، استمرت في المجيء باكراً والعودة قبل شروق الشمس، ولمدة ثلاثة أيام متتالية، في محاولة حفر المقابر. بمعيتها شقيقتها زهراء (والدة أحد القتلى)، وعائشة (زوجة أحد القتلى) وابنتها، إلى جانب إحدى جاراتها، كنّ يساعدنها في الحفر، ليتمكنّ في اليوم الثالث من دفن والدها وثلاثة آخرين معه.

حسرة وألم.. لم تكتمل المهمة

لم يخلُ صوت (ع) من الحسرة والأسى، وهي تشير إلى أنهن لم يتمكنّ من ستر ودفن بقية الجثث التي كانت بالمخزن، وذلك لشدة الظلام وامتلاء المخزن بالمحصول. عادت (ع) مرة أخرى إلى حي الشاطئ بعد أن سترت والدها، ورغم ألم فراقها عليه وعلى من معه، إلا أنها شعرت براحة كبيرة بعد أن قامت بدفنهم. وبعد أيام من الحرب، حيث شهدت المواجهات هدوءاً نسبيًا للأحوال، وبدأت بعض الأسر في العودة إلى منازلهم من الأحياء الأخرى التي التجأوا إليها بحثاً عن الأمان. مكثت (ع) في حي الزهور بعد عودة الأهالي إليه. في ذلك الوقت، كانت معظم المنا زل قد تم حرقها، ومن ضمنها منزل ابنها.

الفرار.. وبداية قصة أخرى

وتعود (ع) لسرد قصتها قائلة: "عقب ذلك، خرجنا من حي الزهور صوب مدينة أدري التشادية. كانت هناك أعداد غفيرة من الفارين من ويلات الحرب، وكانت الجثث ملقاة على طول الطريق، كما أن الطريق لم يخلُ من مقتنيات الفارين المبعثرة في كل مكان. وصلنا إلى منطقة أدري على الحدود التشادية، لكننا لم نجد أي إغاثة أو عمل، فتوجهنا صوب مدينة أبشي، ومنها قررنا الرحيل صوب جمهورية مصر، التي وصلناها بعد مشقة عظيمة. وظللنا شهراً كاملاً في الطريق قبل أن نصل إلى مصر." وبذلك، أُسدل الستار على قصة امرأة، ومعها أخريات، أجبرتهن الظروف القاسية على حفر المقابر ودفن أعزاء لديهن، لتبدأ فصول قصة أخرى في حياتها، وهي تُعايش ويلات اللجوء في بلدٍ غريب.

هنا وهناك..

د.سلمى نايل

المرأة التي تمضي.. لا تطلب الإذن

في زوايا هذا العالم المُتعب، تخرج المرأة من بين الركام، تحمل على ظهرها ذاكرة قهر، وفي يدها بذور الأمل. لا تطلب إذنًا، ولا تنتظر أن يُفرش لها الطريق. تمضي ببساطتها، وبثِقل الحياة، وبقلبٍ لا يزال يؤمن بأن الحياة تستحق أن تُعاش بحرية.

برامج دعم المرأة ليست مجرد جداول تدريب أو منح صغيرة تُوزّع في حفل رسمي. إنها امتداد لنضال طويل، خفيّ أحيانًا، وعنيف أحيانًا أخرى. هي محاولات لردّ الكفة نحو العدل، لترميم ما تهدّم من كرامة، ولمساعدة امرأة واحدة على الأقل أن تكتشف أنها قادرة.

المبادرات التي تصنع الفارق.. في الأردن، أمسكت فتاة ريفية بخيط من الأمل من خلال مبادرة "تمكين". تعلّمت حياكة السجاد، ثم فتحت دكانًا صغيرًا، ثم صارت تُعلّم غيرها. وفي السودان، ترفع نساء نازحات في المخيمات حول بورتسودان سقف الأمل عبر مبادرة "إرادة"، التي جعلت من الحرف اليدوية رسالة مقاومة.

وفي مصر، تبني مبادرة "هي تستطيع" جيلًا من النساء لا يخشين سوق العمل، ولا يُخفين طموحًا في قلوبهن.

ليست هذه المشاريع خرافية ولا سحرية. إنها بذور تُزرع في أرض قاحلة، أملًا في أن تُمطر يومًا.

المرأة التي تتلقى دعمًا حقيقيًا، لا تعود فقط إلى الحياة، بل تُعيد الحياة إلى من حولها.كل مشروع صغير تديره امرأة هو سلاح ضد الفقر. كل ورشة خياطة، كل مكتبة صغيرة، كل صفحة تُكتب، كل طفلة تُكمل دراستها... هي معركة كسبناها في وجه الجهل والتهميش والتقليد الأعمى.

هل يكفي ذلك؟ لا. ما زلنا نحتاج أكثر من المبادرات. نحتاج إلى تغيير العقل الجمعي. نحتاج مجتمعًا يرى في المرأة "كائنًا كاملًا"، لا تابعًا ولا تابعًا لأحد. نحتاج قوانين عادلة، وإعلامًا يرفع الصوت، لا يبيع الوهم.

في الختام ليس المطلوب أن نمنّ على النساء ببرامج الدعم، بل أن نراها استحقاقًا لهن. فالمرأة ليست متلقية للفضل، بل صانعة له. تنهض وحدها كثيرًا وتنهض بنا إذا أُعطيت الفرصة.

المرأة تمضي، ولا تطلب الإذن... فقط افتحوا لها الطريق.

ملهمات من بلادي

عـــــازة في هـــــــواك

عازة محمد عبد الله زوجة القائد علي عبد اللطيف

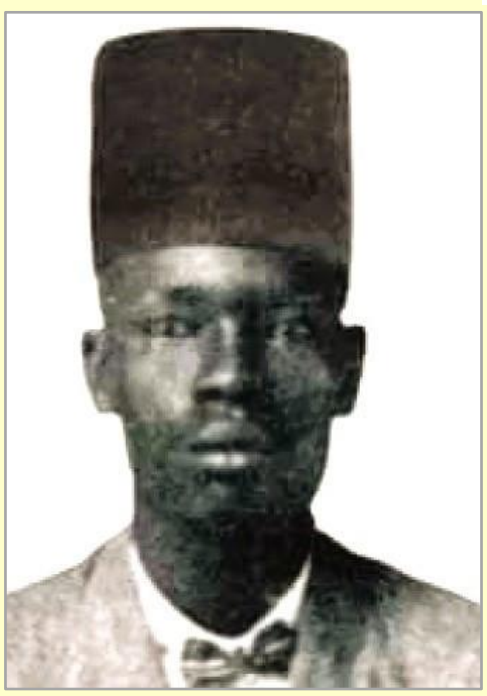

زغرودة حين أدى الطلبة الحربيون التحية العسكرية لأسرة عبد اللطيف. خرجت السيدة عازة أمامهم، وقادت الموكب العسكري كأول سيدة في تاريخ السودان تقود مظاهرة سلمية مناهضة للاستعمار في أغسطس 1924.

سارت أمام الموكب حتى سجن كوبر بمدينة بحري حيث كان زوجها معتقلاً، ومن خلفها ردد المتظاهرون القصيدة الأشهر للشاعر عبيد عبد النور:

"يا أم ضفاير قودي الرّسن
وأهتفي فليحيا الوطن
أصلو موتاً فوق الرّقاب
كان رصاص أو كان بالحراب
البدور عند الله الثواب
البضحي وياخد العقاب
يا الشباب الناهض صباح
ودّع أهلك وأمشي الكفاح
قوي زندك وموت بارتياح
فوق ضريحك تبكي الملاح"

لم تخف عازة عند اعتقال زوجها، بل خاطبت بكل قوة ملك مصر آنذاك، الملك فاروق الأول برسالة مطالبة إياه بالإفراج عن زوجها المعتقل، وبعثت بذات الرسالة إلى وزير الحربية. انتقلت هي وأسرتها إلى مصر لتكون بالقرب منه. على الرغم من أنها لم تنل حظًا من التعليم، إلا أن السيدة عازة ساندت ثوار جمعية اللواء الأبيض، التي كانت تدعو إلى تعليم المرأة.

كان شاعر الثورة، خليل فرح، رفيق درب زوجها علي عبد اللطيف في جمعية اللواء الأبيض. نشرت الجمعية الدعوة لتعليم المرأة في جريدة الحضارة، حيث كتب خليل فرح في عددها الصادر بتاريخ 27 يناير 1921 قصيدته عن تعليم المرأة.

كانت السيدة عازة وأسرتها هدفًا لأجهزة الاستعمار، في محاولة لكسر شوكتها ووأد نضال المرأة السودانية الذي بدأت تتشكل نواته الأولى. مورست عليها وعلى أسرتها كل أساليب الترويع والتهديد، وتعرضت للضرب والتفتيش في محاولة يائسة لإثنائها عن ممارسة النشاط السياسي. حُرمت من معاش زوجها وقُطعت عنها خدمة المياه والكهرباء، ولكن كل ذلك لم يثنها عن دورها القيادي والملهم. بل دفعها حسها الوطني للقيام بدور طليعي والمشاركة في أكبر حراك نقابي قاده النقابي العمالي سليمان موسى في مارس 1948 للاعتراف بنقابة عمال السكة حديد، التي كان أول رئيس لها.

شاركت السيدة عازة إيمانًا منها بأن الحراك النقابي كان أداة من أدوات النضال ضد المستعمر. وفي تفكيرها هذا، ورغم أميتها، جسدت معاني البطولة وسبقت من هن في مثل سنها في الاضطلاع بالمسؤولية الوطنية وفي طليعة مقاومة الاستعمار. كرمها اللواء محمد نجيب، أول رئيس لجمهورية مصر العربية، وأقام حفل تأبين لزوجها البطل علي عبد اللطيف، وأمر بنقل جثمانه من المقابر العامة إلى مقابر الشهداء، وخصص لها معاشًا شهريًا حتى وقت وفاتها في عام 1987. كما كرمها الرئيس جعفر نميري واتحاد عمال نقابات السودان في عام 1969، واتحاد طلاب جامعة الخرطوم.

د.منال جنبلان

لطالما كانت المرأة السودانية، وعبر تاريخ السودان الطويل، رمزًا للقوة والإرادة والحكمة. لم يمنعها دورها الفطري كزوجة وأم حاضنة لمملكتها الصغيرة من أداء واجبها الوطني ومقاومة كل غزو واستعمار كلما تطلبت المرحلة ذلك. لقد سطر تاريخ السودان أسماء نساء قُدن فسُدنَ، وقاتلن الجيوش الغازية والمستعمرة بكل قوة وصلابة، وعزة وشموخ. سعين للحفاظ على تراب بلادهن واستقلال شعبهن، فخُلِّدت أسماؤهن بحروف من الكبرياء والقيادة والريادة، حتى صرن أنموذجًا لنضال المرأة السودانية.

تهدف سلسلة "ملهمات من بلادي" إلى تسليط الضوء على دور هؤلاء النساء اللواتي ألهمن الأجيال اللاحقة معاني البذل والتضحية والنضال والبطولة، وكيف يمكن للمرأة أن تكون في طليعة شعبها.

كم من عازة سينجب السودان!

عازة محمد عبد الله هي زوجة القائد علي عبد اللطيف، رئيس جمعية اللواء الأبيض وقائد ثورة 1924 ضد الاستعمار الإنجليزي للسودان.

ترعرعت عازة في مدينة بُري وتزوجت من الضابط علي عبد اللطيف عام 61916، واستقرت معه في مدينة تلودي بجبال النوبة. تنقلت مع زوجها في جميع المدن التي عمل بها، منها مدني، الفاشر، ورمبيك، واستقرت الأسرة أخيرًا في المنطقة المعروفة بالفتيحاب الآن في أم درمان.

قاد زوجها علي عبد اللطيف، مؤسس حركة اللواء الأبيض، النضال ضد الاستعمار الإنجليزي، وتم حبسه في سجن كوبر بمدينة بحري. كانت عازة تزوره في السجن بصحبة ابنتيهما نعمات وستنا (الابنة الصغرى). كانت حلقة الوصل لإيصال الرسائل لثوار حركة اللواء الأبيض، حيث كانت تحمل الرسائل مخبأة في "مريلة" الطفلة الصغيرة لتوصيلها للثوار خارج السجن.

خطط طلاب الكلية الحربية للخروج في حشد عسكري سلمي للمطالبة بالإفراج عن زملائهم. تحرك الموكب صوب منزل البطل علي عبد اللطيف، شمال كلية الصحة بجامعة الخرطوم، مرورًا بالثكنات العسكرية وخط السكة الحديد.

عند وصولهم المنزل، خرجت لهم الحاجة فاطمة محمد الحسن، والدة السيدة عازة، وأطلقت

سيدتان من وهج الحبر العربي:

أحلام مستغانمي وغادة السمان.. مقارنة بين غواية الذاكرة وفضيحة الألم

في رحاب الأدب العربي المعاصر، تتصدر مشهد السرد نساءٌ لم يكتفين بصياغة الحكايات، بل انخرطن في معركة الوعي والهوية والقضية. بين أحرفهن، تنبض الأمة، لا بوصفها جغرافيا منهكة، بل كحلم مشتهى وجرح مفتوح. في عالمٍ تراجعت فيه الفكرة القومية إلى هوامش السياسة، ظلّت أحلام مستغانمي وغادة السمان تكتبان من صميم ذلك الحلم العربي الذي تقطّعت أنفاسه، تتنفسانه شعريًا وسرديًا، وتغزلان منه حكايات امرأة لا تنفصل عن الوطن، وحب لا ينفك عن الثورة، وذاكرة لا تتخلى عن الجرح.

عفوا.. هنا لا يدور الحديث عن كاتبتين فقط، بل عن حالتين أدبيتين تمردتا على القوالب، وخاضتا الكتابة كما يخوض المنفيّ حلم الوطن.

القضية الكبرى.. الرواية خندقًا والمفردة طلقة

عند أحلام مستغانمي، الكتابة فعل ممانعة ناعم، وامتداد لصوت الثورة التي لا تموت. إذ لا تنخرط مستغانمي في التنظير السياسي، لكنها تجعل من رواياتها أوعية للذاكرة الجمعية والقومية، تُقطّر فيها الألم الوطني قطرة قطرة، حتى تتلوّن الحروف برائحة البارود والحنين.

في "ذاكرة الجسد"، لا يلتقي العاشقان فقط، بل تلتقي الجزائر مع نفسها، بمرآةٍ من جراح وأمل. الجسد المبتور لا يُشير فقط إلى الحرب، بل إلى وطن فقد أطرافه في صفقات النسيان.

وتبقى القضية الفلسطينية في كتاباتها، لا كعنوان متضامن، بل كجرح شخصي، وحق لا يسقط بالتقادم، تؤكده عبارتها: "الكتابة مقاومة حين تخون البنادق."

أما غادة السمان، فهي تسرد من قلب العواصف العربية، لا من عتباتها... بيروت عندها ليست أسطورة، بل كابوسٌ يسكن المدينة والروح معًا.

في "بيروت 75"، تحذّر من عاصفة تتشكل على هامش المجتمع، وفي "كوابيس بيروت"، تتحول الكاتبة إلى "كاميرا محطمة" توثق، في كل رمشة، ارتجافات وارتعادات المدينة وهي تسقط في أتون الجنون الأهلي. تنظر غادة إلى الحرب لا كقَدَر بل كمؤامرة على الحلم العربي، وتكتب المرأة وهي تنزف وطنًا.

الشكل والمضمون.. الشعر مع الوقائع العارية

أحلام مستغانمي شاعرة متخفية في هيئة روائية... لغتها مخملية، آسرة، تدغدغ المشاعر كما يفعل النسيم بموج البحر. تتدفق عباراتها كأنها ترتدي فساتين حرير عربي، مطرزة بالحزن والوله والانتماء. لهذا، لا عجب أن تتحول اقتباساتها إلى "أناشيد حب" يتداولها العشاق على شرفات الفيسبوك وتغريدات الحنين.

بالمقابل غادة السمان، تكتب كمن يفتح نافذة على عاصفة، فهي لا تسعى لزخرفة الألم، بل لفضحه. كلماتها قصيرة، كطلقات رصاص، صادقة حد القسوة، فصيحة في هجائها للمجتمع والسلطة والتابوهات. لا تتودد للقارئ، بل تجرّه إلى مرآةٍ لا ترحم. ومع ذلك، أو ربما لهذا السبب، تقرأها النخب المثقفة كما تُقرأ المناشير السرية.

المرأة في النص... بين شهقتي العاطفة والرفض

تكتب مستغانمي المرأة كما تُكتب الأغاني الحزينة، بكاء نبيل داخل إطارٍ من الجمال. هي لا

ترفع رايات النضال النسوي الصريح، لكنها تمنح بطلاتها قوة داخلية صامتة، تجعل المرأة أقرب إلى أسطورة حب لا تُكسر.

في نصوصها، تتحول المرأة إلى سؤال دائم عن الحرية، تُسجّل مشاعرها كما يُسجل الرُسل الوحي بشغف ووقار. وفي خلفية ذلك، تتسلل الأسئلة القومية، كأنَّ الوطن أيضًا أنثى تُقهر وتُحَب وتُستردّ.

أما غادة السمان، فتتحدث عن المرأة بقبضات مفتوحة... تصرخ باسمها، تكشف كيف يُغتصب جسدها في وضح القانون، وكيف يُحاصر عقلها بسياج الأعراف. في رواياتها، المرأة ليست فقط ضحية، بل مقاومة، وفريسة تصير لاحقًا مفترسة. هي تكتبها بلا رتوش، بلا عذر أو طلب غفران. إنها الكتابة بوصفها مطرقة نسوية، تطرق على خشبة المسرح العربي المتداعي لتقول إن القضية لا

تُفهم دون جسد امرأة ينزف من الداخل والخارج معًا.

الأدب مرآة مشروخة لواقع أكثر تشظياً

أحلام مستغانمي وغادة السمان، ليستا كاتبتين فحسب، بل عاصفتان أدبيتان عربيتان، كلٌ منهما تهبّ من جهة مختلفة من جغرافيا الحرف العربي. الأولى تُحاكي النخيل وهو يُكابر في وجه العاصفة، والثانية تسجل سقوط الوردة وتبتسم في جنازتها.

وما بين شعرية الذاكرة وواقعية الجراح، بين التواطؤ العاطفي والصدمة النصية، يتجلّى الأدب النسوي العربي كأكثر مرايا الواقع صدقًا ومراوغةً.

لا تتحدثان عن "المرأة" فقط، بل عن العروبة حين تمر عبر جسدها، وعيناها، وحنينها.

لأن الكلمة التي تكتبها امرأة تعرف معنى القيود، لا يمكن إلا أن تُحرّر.

نجمات عربيات يضيئن سماء الإلهام والتأثير لعام 2024:

ثلاثة سودانيات وتونسية وسورية في صدارة المشهد

تتسارع الصحف والمواقع في رصد أكثر الشخصيات العربية تأثيرًا وإلهامًا عقب إعلان نتائج خيارات "رصيف22" للعام 2024م، وتبرز ضمن القائمة عشر شخصيات مؤثرة، من بينها خمس سيدات يمثلن قصصاً استثنائية من الصمود والتحدي، اثنتان منهما من السودان، إضافة إلى نجمة من تونس وأخرى من سوريا.

وجاؤت في مقدمة التصنيف نساء السودان، فمنذ اندلاع الحرب الأهلية في السودان منتصف أبريل 2023، وتصاعد الانتهاكات ضد النساء، تصدّت العديد من السودانيات بشجاعة لرفع الصوت وفضح هذه الجرائم، وخاصةً الاستغلال المروع لأجساد النساء كسلاح في الحرب. لم تتوقف الناجيات والضحايا عن الحديث بشجاعة، فيما تولت ناشطات سودانيات مهمة إيصال أصواتهن للعالم، مطالبين بحقهن في الحياة الكريمة والسلام ومحاسبة الجناة.تبرز في هذا السياق نعمات أحمداي، رئيسة منظمة "نساء دارفور من أجل العمل" وشريكة الأمم المتحدة، التي تؤكد أن "أجساد النساء أصبحت ساحة للحرب في السودان". كما برزت حنين أحمد، التي لم تكتفِ بالحديث عن العنف الجنسي، بل أسست غرفة طوارئ في أم درمان لتقديم الدعم على الأرض وتوفير الخدمات الصحية وحقائب الكرامة للنساء. أما نسرين الصائم، الناشطة والخبيرة البيئية، فتطالب بالحقوق الأساسية وتُوعّي بتبعات الحرب على تغير المناخ، وهو ما تصفه بـ"الموت المجاني".

على صعيد آخر، سطّرت المحامية التونسية سنية الدهماني فصولاً من التحدي. فقد جرى اعتقالها بقوة في مايو 2024 بعد تصريحات ساخرة انتقدت فيها سياسات الرئيس التونسي قيس سعيد. حُكم عليها بالسجن بتهمة "نشر أخبار كاذبة" و"الإضرار بالأمن العام"، في قضية أثارت جدلاً واسعاً حول حرية التعبير.

ومن سوريا، برزت الناشطة والمدونة طل الملوحي، التي تحرّرت مؤخراً من سجن دمشق المركزي "عدرا" بعد سنوات من الاعتقال. كانت طل قد اعتُقلت عام 2009 واتُهمت بـ"التجسس" بسبب كتاباتها في مدونتها عن الأوضاع في بلادها. ورغم الحكم عليها بالسجن، لم يتم الإفراج عنها إلا بعد فترة طويلة، لتصبح حريتها مصدر إلهام للكثيرين.

هؤلاء النساء، بأصواتهن الجريئة ونضالهن المتواصل، يمثلن رمزاً للصمود والإلهام، ويُضفن فصلاً جديداً في سجل العطاء والتحدي للمرأة العربية.

رَصيف raseef22

دراسة

العنف ضد النساء كسلاح في الحرب.. السودان نموذجًا

يُعد العنف ضد النساء في سياق الحروب والنزاعات المسلحة ظاهرة عالمية مقلقة ومعقدة، تتجاوز الحدود الثقافية والجغرافية، وتتجلى في أشكال متعددة تشمل العنف الجسدي، والنفسي، والجنسي. هذا العنف ليس وليد اللحظة، بل رافق الصراعات الإنسانية منذ زمن بعيد. في حروب السودان، اتخذ العنف ضد النساء بُعدًا استراتيجيًا، حيث يُستخدم كأداة لتحقيق أهداف سياسية وعسكرية. إنه ليس مجرد اعتداءات فردية تصاحب الفوضى، بل هو سلاح ممنهج يهدف إلى تدمير النسيج الاجتماعي، وتفكيك الروابط الأسرية، وتخويف المجتمعات المستهدفة. وقد أوضحت دراسات عديدة، مثل دراسة كيلي دوان أسكين عن الاغتصاب كسلاح حرب وأداة إبادة جماعية، ودراسة إليزابيث جين وود حول العنف الجنسي زمن الحرب، إضافة إلى تقارير الأمم المتحدة حول النزاع المرتبط بالعنف الجنسي وتقارير هيومن رايتس ووتش ويوناميد، أن استخدام العنف ضد النساء في النزاعات المسلحة ليس عشوائيًا. بل هو مخطط له ويعكس استراتيجيات تسعى إلى تعزيز السيطرة وفرض الهيمنة. من خلال استهداف النساء، يسعى المعتدون إلى تقويض الروح المعنوية للمجتمعات وزعزعة استقرارها، مما يساهم في تفاقم الأزمات الإنسانية وتعقيد جهود السلام والمصالحة.

تعريف العنف ضد النساء

يُعرّف العنف ضد النساء بأنه أي فعل يُرتكب ضد المرأة، قائم على النوع الاجتماعي، ويؤدي أو يُحتمل أن يؤدي إلى أذى جسدي، أو نفسي، أو جنسي، أو اقتصادي، أو إلى معاناة للمرأة. يشمل ذلك التهديد بمثل هذه الأفعال، أو الإكراه، أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة. يشمل هذا العنف عدة أشكال:

* العنف الجسدي: كالضرب، أو الحرق، أو الإيذاء الجسدي بأي شكل، بما في ذلك الاغتصاب، والتحرش، والاستغلال الجنسي، والزواج القسري.
* العنف النفسي واللفظي: كالإهانة، التهديد، التحقير، العزل الاجتماعي.
* العنف الاقتصادي: كحرمان المرأة من حقها في العمل، أو التحكم في دخلها، أو الاستيلاء على ممتلكاتها.
* العنف المؤسسي والقانوني: كالتمييز في القوانين أو السياسات التي تقيّد حقوق النساء وحرياتهن.
* العنف القائم على العادات والتقاليد: مثل تشويه الأعضاء التناسلية (ختان الإناث)، أو زواج الطفلات، أو التمييز المرتبط بـ "الشرف".

يتوافق هذا التعريف مع ما ورد في الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة الصادر عن الأمم المتحدة عام 1993، ويأخذ في الاعتبار الأبعاد المختلفة للعنف في السياقات العامة (كالشارع، العمل، المؤسسات) أو الخاصة (كالأسرة أو الشراكة الزوجية).

أسباب العنف ضد النساء كسلاح في الحرب

تتعدد الأسباب والدوافع وراء استخدام العنف ضد النساء في النزاعات المسلحة، وتشمل:

* الاستراتيجية العسكرية: يُعتبر العنف ضد النساء وسيلة لتقويض الروح المعنوية للعدو، وإخافة الخصوم، وإضعاف التماسك الاجتماعي في المجتمعات المستهدفة.
* السيطرة الاجتماعية: يُستخدم العنف لتحقيق السيطرة على المجتمعات، حيث يؤدي الاعتداء على النساء إلى تفكيك العلاقات الأسرية والمجتمعية، مما يسهل الهيمنة.
* التعزيز الأيديولوجي: يُستغل العنف ضد النساء في سياقات تتعلق بالأيديولوجيات المتطرفة، حيث يُستخدم كوسيلة لتأكيد القوة الذكورية وتعزيز المفاهيم التقليدية للأدوار الجنسية.
* تأجيج النزاعات: يُعتبر العنف ضد النساء وسيلة لتأجيج الصراعات بين المجموعات، مما يعمق الانقسامات الاجتماعية والعرقية.
* الانتقام والعقاب: يُستخدم العنف كوسيلة للانتقام من المجتمعات أو الأفراد، وغالبًا ما يكون الهدف هو العقاب الجماعي.
* تفكيك المجتمعات: يُستخدم العنف الجنسي كوسيلة لتدمير نسيج المجتمعات المستهدفة، عن طريق وصم النساء وجعل عودتهن للحياة الطبيعية مستحيلة.
* انهيار الدولة وغياب المحاسبة: يؤدي غياب الدولة وضعف المؤسسات القضائية إلى إفلات الجناة من العقاب، مما يشجع على تكرار الانتهاكات.

التأثيرات الاجتماعية والنفسية على المجتمعات المتأثرة

تترك ممارسات العنف ضد النساء آثارًا عميقة وواسعة النطاق على الأفراد والمجتمعات:

* تدمير الروابط الاجتماعية: يؤدي العنف إلى تفكيك العائلات والمجتمعات، مما يزيد من تفشي الشعور بالانفصال والاغتراب.
* الآثار النفسية: تعاني النساء اللواتي يتعرضن للعنف من آثار نفسية عميقة، تشمل القلق، والاكتئاب، واضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) الذي يؤثر على حياتهن اليومية.
* زيادة العنف المستقبلي: يمكن أن يُسهم العنف ضد النساء في خلق دائرة من العنف، حيث يتعرض الأطفال الذين يشهدون هذا العنف لاحقًا لمخاطر أكبر في تكرار هذه السلوكيات.
* تأثيرات على الصحة العامة: تُزيد حالات العنف من أعباء النظام الصحي، حيث تحتاج الضحايا إلى خدمات طبية ونفسية، مما يضع ضغطًا إضافيًا على الموارد.
* إعاقة التنمية: يؤثر العنف على النساء بشكل كبير، مما يؤدي إلى تراجع مشاركتهن في القوى العاملة ويعرقل التنمية الاقتصادية للمجتمعات.
* الوصمة الاجتماعية: يُعد الاغتصاب في المجتمعات السودانية وصمة عار، مما يُجبر العديد من النساء على الصمت أو العزلة.
* تفكك الأسر: يُساهم العنف في انهيار الأسر بسبب الطلاق أو النبذ الاجتماعي للضحايا.
* إعاقة جهود السلام: يستمر أثر العنف ضد النساء في التأثير على جهود المصالحة والسلام، حيث تبقى التجارب القاسية في الذاكرة الجماعية للمجتمعات.

من خلال فهم هذه الأسباب والدوافع وتأثيراتها الواسعة، يمكن العمل نحو إيجاد حلول فعالة للحد من العنف وتحقيق السلام المستدام.

النزاعات السودانية: سياق تاريخي وأنماط

يُعد استخدام العنف الجنسي ضد النساء في السودان خلال الحروب والنزاعات المستمرة حدثًا غير عرضيًا، بل كان منهجيًا واستُخدم كسلاح لتحقيق أهداف عسكرية وسياسية. شهدت البلاد سلسلة من الحروب الأهلية والنزاعات المسلحة التي صاحبتها انتهاكات واسعة النطاق لحقوق الإنسان، بما في ذلك العنف الجنسي والجسدي ضد النساء.

طبيعة العنف ضد النساء في النزاعات السودانية:

* الاغتصاب الجماعي: يتم استهداف النساء في مناطق النزاع بشكل جماعي بهدف نشر الرعب وترهيب السكان.
* الاستعباد الجنسي: في بعض الحالات، يتم اختطاف النساء واحتجازهن لفترات طويلة، ويُجبرن على تقديم خدمات جنسية للمقاتلين.
* الاعتداء الجسدي والتعذيب: تتعرض النساء للضرب والإيذاء النفسي والجسدي، إما أثناء الغارات أو في مراكز الاحتجاز.
* الحمل القسري: في بعض الحالات، تم استخدام الاغتصاب المتكرر لإجبار النساء على الحمل من أفراد الميليشيات كوسيلة للتطهير العرقي.

العنف ضد النساء.. لمحة تاريخية:

* الحرب الأهلية الأولى (1955-1972):

بدأت قبل الاستقلال واستمرت حتى توقيع اتفاقية أديس أبابا عام 1972. خلال هذه المرحلة، كانت الانتهاكات ضد النساء أقل توثيقًا، لكنها وُصفت بأنها كبيرة نتيجة للهشاشة الأمنية ولم تحظ بدراسات علمية كافية.

* الحرب الأهلية الثانية (1983-2005):

كانت الحرب بين حكومة الخرطوم والحركة الشعبية لتحرير السودان. تخللتها انتهاكات واسعة لحقوق الإنسان، واستُخدم العنف الجنسي كسلاح لترهيب السكان. مارست الأطراف المتحاربة العنف ضد النساء لتحقيق مكاسب عسكرية، وأُختطفت النساء في بعض الأحيان وأُجبرن على الزواج أو تقديم خدمات جنسية. لم تكن الانتهاكات مقتصرة على الجنود الحكوميين بل شملت كذلك مقاتلي الجيش الشعبي لتحرير السودان. وتشهد أسماء بعض الأحياء في مدينة جوبا، مثل "اطلع بره" و"حي لباس ما في" و"حي رجال ما في"، على الكم الهائل للعنف بكافة أشكاله ضد النساء.

* صراع دارفور (2003 – حتى الآن):

شهدت مناطق دارفور انتهاكات واسعة وعنفًا جنسيًا ممنهجًا ضد النساء من قبل الجنود التابعين للجيش النظامي والميليشيات التابعة له وقوات الحركات. شمل ذلك الاغتصاب والاغتصاب الجماعي الذي استخدم كسلاح أساسي ضمن استراتيجية لإضعاف المجتمعات المحلية. تم الإبلاغ عن حوادث اغتصاب واسعة النطاق في المخيمات وأثناء الهجمات على القرى. تم استهداف النساء والفتيات بشكل ممنهج، ومن أشهر الجرائم في 2014 كان التبليغ عن جريمة الاغتصاب الجماعي لأكثر من مئتي امرأة في منطقة تابت بولاية شمال دارفور من قبل عناصر من القوات المسلحة السودانية، مما حدا بالمحكمة الجنائية الدولية أن تعد هذه الجرائم جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية ورفعت دعاوى على إثرها على مسؤولين رفيعي المستوى منهم الرئيس السوداني السابق عمر البشير. وثقت الأمم المتحدة ومنظمات حقوقية مثل هيومن رايتس ووتش هذه الجرائم، وأكدت أن الهدف كان إحداث تفكك مجتمعي وزرع الخوف بين السكان.

* النزاعات القبلية والنزوح الداخلي:

النزاعات القبلية المتكررة، لا سيما في دارفور وكردفان والنيل الأزرق، أدت أيضًا إلى استهداف النساء ضمن عمليات انتقامية. أثناء الغارات على القرى، يتم اغتصاب النساء وحرق الممتلكات، مما يؤدي إلى انهيار البنية المجتمعية.

* حرب الجيش والدعم السريع (15 أبريل 2023 - حتى الآن):

أشارت تقارير المنظمات الدولية والإقليمية العاملة في السودان، مثل شبكة صيحة، إلى تصاعد حالات العنف الموجه ضد النساء منذ اندلاع النزاع بين قوات الجيش السوداني وقوات الدعم السريع. سُجل ارتفاع كبير في أعداد ضحايا العنف ضد النساء، حيث واجهت النساء العديد من المخاطر بكل أنواعها، من اعتداءات جنسية وجسدية، وتحرش، واسترقاق، وفقدان للأمان، ونقص في الخدمات العامة والصحية الأولية، ونزوح وتهجير قسري. سجلت المنظمات الحقوقية، مثل هيومن رايتس ووتش، تورط قوات الدعم السريع في تنفيذ عمليات اغتصاب جماعي وجرائم عنف جنسي أخرى في الخرطوم ومدن أخرى مثل ولاية الجزيرة ودارفور. كما تعرضت بعض النساء للاحتجاز في ظروف قاسية ترقى إلى الاسترقاق الجنسي، وأُجبر البعض على الزواج القسري وزواج الأطفال في ظل هذه الحرب. بالإضافة إلى معلومات عن تورط بعض جنود القوات المسلحة في جرائم اغتصابات في أم درمان ومقايضة الجنس بالغذاء. وفي آخر إفادة لرئيسة وحدة العنف ضد المرأة والطفل بالسودان، أفادت بوجود عدد كبير من النساء والأطفال الأسرى، حيث تجاوز عدد المفقودات 500 مفقودة، وأشارت إلى وجود حالات اختطاف وبيع، لكن الأسر التي دفعت فدية احتفظت بتلك المعلومات.

أدى انعدام الأمن والفوضى التي صنعتها الحرب إلى:

* نقص كبير في المعلومات: أصبح من غير الممكن الحصول على معلومات دقيقة عن الأعداد الحقيقية للضحايا والناجيات.
* منع وصول المنظمات: مُنعت المنظمات العاملة من الوصول إلى المحتاجين وتقديم الخدمات الضرورية، مما أدى إلى تدهور مريع في الخدمات الصحية الأولية للمدنيين عمومًا وللنساء خصوصًا، والخدمات الصحية للناجيات من العنف.
* تحدي التوثيق: مثل انعدام الأمن تحديًا كبيرًا للتوثيق والكشف عن حالات العنف، وجعل البيانات غير متاحة، وعرّض النشطاء والناشطات والمهتمين والمهتمات لخطر الاعتقال والمحاكمات بتهم التجسس من قبل طرفي النزاع.

المحاولات المحلية والدولية لمواجهة العنف ضد النساء في السودان

تُبذل جهود مختلفة لمواجهة هذه الظاهرة المعقدة، وتشمل:

* اتفاقية السلام الشامل (2005): حاولت الحد من العنف عبر وضع ترتيبات انتقالية، لكنها لم تعالج بشكل مباشر الانتهاكات الجنسانية.
* جهود المحكمة الجنائية الدولية: وجهت المحكمة اتهامات لبعض المسؤولين عن الجرائم في دارفور.
* دور المجتمع المدني السوداني: تسعى منظمات نسوية لرفع الوعي والدعوة إلى محاسبة المسؤولين عن الانتهاكات.
* دور الأمم المتحدة: عملت بعثات السلام على مراقبة وحماية النساء، خاصة في مناطق النزاع مثل دارفور.

التحديات الحالية

على الرغم من الجهود المبذولة، تواجه مواجهة العنف ضد النساء في السودان تحديات كبيرة:

* الحرب واستمرارها: تُعد الحرب أكبر تحدٍ أمام حماية النساء.
* الانقلابات السياسية وعدم الاستقرار: يُعيق استمرار النزاعات والانقلابات، مثل انقلاب 2021، محاولات التقدم في قضايا العنف الجنسي.
* عدم تفعيل آليات المحاسبة: على الرغم من وجود قوانين، فإن غياب التنفيذ يظل عائقًا كبيرًا.
* ضعف التمويل والدعم للضحايا: تعاني المنظمات الداعمة من شح في الموارد وتحديات في الوصول إلى مناطق النزاع.

خاتمةُ: يعد العنف ضد النساء في السودان جريمة متعددة الأوجه، تتجاوز الأضرار الفردية لتؤثر على المجتمعات بأكملها. بالرغم من الجهود المبذولة لمكافحة هذه الظاهرة، فإن الحرب واستمرارها، بالإضافة إلى غياب الاستقرار السياسي والمحاسبة، يمثل عائقًا كبيرًا أمام إنهاء هذه الانتهاكات. تحتاج البلاد إلى استراتيجيات شاملة تجمع بين المساءلة القانونية، ودعم الضحايا، وتمكين النساء في صنع القرار لضمان وقف هذه الجرائم وإنصاف الناجيات.

ماندي أبو شوك.. من الخرطوم إلى سباق رئاسة زيورخ

المرأة السودانية من صنعت ماضينا.. وستصنع مستقبل أجيالنا

أفكر في المدن السودانية التي تعرضت للتدمير.. وعلينا كلنا أن نخوض معركة التغيير

في الثامن من مارس 2026، ستشهد مدينة زيورخ السويسرية انتخاباتٍ حاسمةً لحكومة المدينة، ستختار بدورها رئيساً لها. هذه الانتخابات تكتسب أهمية استثنائية للعرب والسودانيين والأفارقة على حد سواء، لكونها المرة الأولى في تاريخ زيورخ، أكبر مدن سويسرا وعاصمتها الاقتصادية، التي تتقدم فيها امرأة من أصول سودانية وعربية وإفريقية بترشيح نفسها ليس فقط لشغل مقعد في حكومة زيورخ، بل لرئاسة هذه الحكومة أيضاً.

صحيفة "الهدف" التقت ماندي أبو شوك، الشابة السودانية المولودة في الخرطوم بتاريخ 29 سبتمبر 1989، لتسليط الضوء على هذه الانتخابات التاريخية، والرسالة التي ترغب ماندي في إيصالها إلى أهلها في السودان والوطن العربي وإفريقيا.

حوار: الهدف

الهدف: ماندي أبوشوك، ما الذي يدفعك لخوض هذه الانتخابات؟ كثيرون ربما يرون في قرارك هذا مغامرةً أو على الأقل تحدياً لمجتمع زيورخ؟

أولاً، شكري وتقديري لـ 'الهدف' لاهتمامها بترشحي. واقعياً، قرار خوض هذه الانتخابات هو مغامرة وتحدٍ بالفعل. مغامرة لكوني أول امرأة، وأول شخص من أصول أجنبية، وأول إنسان عربي إفريقي مسلم يجد في نفسه الجرأة والشجاعة لمواجهة الناخبين في مدينة زيورخ بحقيقة أن 35% من سكان هذه المدينة هم من أصول أجنبية، ولا يوجد من يمثلهم في جهازها التنفيذي. هذه الجرأة تُعتبر أيضاً تحدياً لمجتمع زيورخ، المدينة التي تُعتبر تاريخياً معقلاً لليسار. ترشحي أيضاً ذو علاقة وثيقة بنشأتي وتربيتي. فحين وُلدتُ في الخرطوم، كان والدي نزيل سجون النظام الدكتاتوري لمعارضته الانقلاب العسكري في 30 يونيو 1989.

وعليه، ومنذ ذلك التاريخ، ارتبطت حياتي بالسياسة التي طبعت حياة عائلتي وأصبحت ولا تزال شأناً يومياً. تعلمتُ من تلك الحياة العائلية ألا أقف متفرجة على الحياة من حولي، بل لا بد أن أشارك في صنع الحياة. ترشحي لمنصب في حكومة زيورخ ولرئاسة هذه الحكومة هو رسالة للسويسريين في زيورخ بأن زيورخ لجميع سكانها، وهو أيضاً رسالة للسودانيات والسودانيين بأن التغيير يصنع الحياة. لا يكفي أن نتفرج على الآخرين وأن نُقيّم تصرفاتهم ومواقفهم، بل علينا كلنا أن نخوض معركة التغيير."

الهدف: كيف تدرجت خطواتك في السياسة حتى وصلت لقرار الترشح؟

عاما 2019 و2020، شهدت سويسرا تظاهرات ضخمة للنساء للمطالبة بالمساواة في الأجور وغيرها من مطالب النساء. ومن خلال هذه التظاهرات، برزت الحاجة لتشكيل برلمان نسوي. رشحتني إحدى زميلاتي لخوض الانتخابات عن مدينة زيورخ، وكنتُ مترددة لأنني كنتُ في مرحلة إعداد رسالة الماجستير. غير أن زميلاتي ومعارفي أصروا على وجود اسمي ضمن قائمة المرشحات. كانت المفاجأة فوزي ضمن ممثلات مدينة زيورخ.

بعدها، انخرطتُ بشكل واسع في النشاطات النسوية وفي نشاطات منظمات مقاومة التمييز العنصري، لأنني اقتنعتُ بأن هناك إمكانية حقيقية لإحداث تغيرات إيجابية في المجتمع السويسري. لم أكن عضوة في أي حزب رغم العروض الكثيرة التي قُدمت لي.

وجدتُ من خلال تجربتي أن الحزب الاشتراكي الديمقراطي يحمل تاريخاً مشرفاً في الدفاع عن قضايا المرأة ومقاومة التمييز العنصري، فانضممتُ لفرع الحزب في مجال سكني (الدائرة التاسعة). وهم من أقنعوني بالترشح في انتخابات برلمان زيورخ، حيث نلتُ عضوية البرلمان رغم أن اسمي لم يكن في مقدمة لائحة مرشحي الحزب. وبخلو منصب رئيسة حكومة زيورخ مطلع هذا العام، اتصل بي الكثيرون طالبين مني الترشح لملء هذا المنصب."

الهدف: ما هي الخطوات التالية؟

طبيعة النظام الانتخابي في زيورخ وسويسرا تقوم على مبدأ أن يقدم أي حزب مرشحيه لأي موقع تشريعي أو تنفيذي من خلال انتخابات داخلية بين المرشحين.

ترشح أربعة أعضاء في الحزب لدخول الحكومة، وعلى ممثلي قاعدة الحزب في زيورخ اختيار اثنين منهم (حصّة الاشتراكيين الديمقراطيين في حكومة زيورخ موقعان من أصل 8 مقاعد تشكل حكومة المدينة، عادةً ما يكون أحدها الرئيس). عادةً ما يقوم المرشحون بعرض برامجهم ودوافع ترشحهم على عضوية الحزب في جلسات مغلقة وعلى الجمهور في جلسات مفتوحة، وقد اجتزنا هذه المرحلة. والآن أمامنا اجتماع ممثلي فروع الحزب في المدينة في 26 يونيو لاختيار مرشحيه الاثنين من بين الأربعة الذين ترشحوا. من يختارهم هذا الاجتماع سيتم انتخابهم للحكومة."

الهدف: إذا تم انتخابك للحكومة ورئاسة المدينة، ما الذي تفكرين فيه فيما يتعلق بوطنك الثاني السودان؟

إذا تم اختياري رئيسةً للحكومة، فإن أحد مهامي التي تقع ضمن دائرة اختصاصاتي هو تقديم مشاريع تعاون بين زيورخ ومدن أخرى في العالم. أفكر في مدننا السودانية التي تعرضت للتدمير والتخريب، وفي مقدمة هذه المدن الفاشر."

الهدف: أصولك الأسرية تعود إلى مدني ومروي.. كيف استقبلت ما حدث لمدني بعد احتلالها من الدعم السريع؟

لم أستقبل ما حدث بل عشته بكل جوارحي. فقد اضطر أقربائي لمغادرة المدينة التي وُلدوا وتربوا فيها إلى المنافي البعيدة داخل وخارج السودان. وفقد البعض الآخر ممن آثروا البقاء في مدني حياتهم لانعدام أبسط مقومات الحياة في المدينة. الحرب، مهما كانت دوافعها، تتسبب في كوارث إنسانية فظيعة يدفع ثمنها دائماً المواطنون المدنيون بالدرجة الأولى."

الهدف: رسالتك لشابات وشباب السودان وللمرأة السودانية على وجه الخصوص؟

المرأة السودانية صاحبة تاريخ عريق يشهد عليه تاريخ السودان والعالم. هي الكنداكات اللواتي حَكَمْنَ وادي النيل وصَنَعْنَ حضارة عظيمة. وهن كنداكات الحاضر اللواتي صَنَعْنَ وقُدْنَ أعظم الثورات الشعبية في التاريخ المعاصر، ثورة ديسمبر 2018. وهن كنداكات حاضرنا اللواتي يتحملن العبء الأكبر في قيادة أسرهن ومجتمعاتهن لمقاومة الحرب العبثية المفروضة على الشعب السوداني.

رسالتي لأخواتي وأمهاتي أن لا يفقدن الثقة في أنفسهن، فهن من صنع ماضينا وسيصنعن مستقبل أجيالنا. المرأة السودانية التي نالت حق التصويت في 1954 ودخلت أول برلمان منتخب في 1965، عليها أن تتذكر أن بلداً كسويسرا لم تنل المرأة فيه حق الترشيح والانتخاب إلا في سنة 1971."

التغيير يصنع الحياة.. وزيورخ لجميع سكانها

حظي فيلم "جهنمية" السوداني بتفاعلٍ لافتٍ عند عرضه في مهرجان مالمو للسينما العربية بالسويد. الفيلم القصير، الذي تبلغ مدته 17 دقيقة، وُلد وسط الثورة السودانية (ديسمبر 2018) ليكون صرخة سينمائية ترصد معاناة ست نساء انتهى بهن المطاف في زنزانة ضيقة، مجسدًا بذلك القهر والصمود.

يغوص المخرج ياسر فائز في تجربة إنسانية عميقة داخل هذه المساحة المعزولة، كاشفًا عن صراعٍ نفسي لا يقل شراسة عن المعارك في الخارج.

يشير اسم "جهنمية" إلى شجرة تتحمل أقسى الظروف، لتصبح رمزًا لنساءٍ قوياتٍ ومهمشات، وهو إسقاطٌ بصريٌ وروحيٌ عميقٌ. ولدت فكرة الفيلم من تأمل المخرج في نضال والدته وجدته غير المعلن، ورغبته في توثيق بطولة النساء الاستثنائية خلال الثورة، التي ظلت للأسف هامشية في السرد الإعلامي والفني. لم يكن اختيار الاعتقال السياسي موضوعًا محوريًا صدفةً، نظرًا لندرة التوثيق الفني لهذه التجربة، خاصةً عندما يتعلق الأمر بالنساء اللواتي يواجهن صمتًا مضاعفًا في هذه الظروف.

اعتمد الفيلم على مقابلاتٍ مع سجينات سياسيات سابقات، ليُبرز أن الصراع النفسي الداخلي في تجربة الاعتقال قد يفوق قسوة العنف الجسدي.

على الرغم من التحديات الإنتاجية القاسية، بما في ذلك اندلاع الاضطرابات والحرب التي أثرت على التصوير وفقدان نسخة شبه نهائية من الفيلم قبل إنقاذها، إلا أن المشروع استمر بدعمٍ محدود وشجاعةٍ. التفاعل الكبير مع الفيلم، خاصةً من نساء سودانيات شعرن بأنه يعبر عنهن، أكد وصـول رسالته بقوة. يواصل فائز تركيزه على القضايا السودانية والإنسانية العميقة في مشاريعه المستقبلية.

تتويج الحب في زمن اللحظة:
مأمون وحنين.. ليلة زواج فني كبير

بينما ينساب الزمن في نهر الوجود، تتوقف عقاربه أحياناً لتشهد ميلاد لحظات استثنائية تُخلّد في ذاكرة الروح. بالأمس القريب، احتفت القاهرة، عاصمة الفن والعبق التاريخي، بتلك اللحظة الساحرة التي جمعت قلبين في رباطٍ مقدس.

في أحضان أحد فنادق مدينة نصر، حيث تتراقص أضواء الأمل، وعلى إيقاع الفرح الخالص، عُقد قران الفنان الشاب مأمون سوار الدهب على حسناء الروح، حنين محمود عبد العزيز. شهدت المراسم البهية حضوراً زينته جدة العروس الوقور، الحاجة فايزة، وشقيق العروس التوأم حاتم، إلى جانب كوكبة من نجوم الطرب الشباب. وكان وكيل العروس عمها الفنان مأمون عبد العزيز، لتكتمل بذلك لوحة فنية عائلية.

وفي ليلةٍ فاضت بالبهجة، تعالت أصوات الغناء لتُعانق السماء، حيث أطرب الحضور ثلةٌ من المطربين الشباب، يتقدمهم المتألق بكري المغربي والفنان أحمد محمد أحمد عوض، راسمين سيمفونية الفرح التي ستظل ترن في أرجاء الذاكرة

مجدي علي

الحرب العبثية..

سبع حقائق مؤلمة ومؤكدة يجب أن نعرفها عن الأزمة الإنسانية في السودان:

1/ إن الشعب السوداني يعيش في ظل أسوأ وأقذر حرب منذ أكثر من سنتين، دون أن تلوح أي بوادر حسم عسكري أو حل سياسي في الأفق.

2/ إن الصراع بين الجيش وصنيعته، قوات الدعم السريع، أسفر عن مجاعة حقيقية مروعة، وبخاصة في ولايات دارفور.

3/ إن أكثر من نصف السكان يعانون من الجوع الحاد، وأن السودان يواجه مستويات تاريخية من انعدام الأمن الغذائي، خاصة في ولايات الجزيرة والخرطوم وكردفان.

4/ إن السودان يواجه أكبر أزمة نزوح في العالم، إذ اضطر أكثر من 13 مليون شخص للفرار من ديارهم داخل السودان أو عبر الحدود.

5/ إن المدنيين، وبخاصة النساء والأطفال يعانون من أشكال خطيرة من العنف، عنف يشمل الاغتصاب والاختطاف والاستغلال الجنسي وغير ذلك من أشكال العنف القائم على النوع والعرق الاجتماعي.

6/ إن المئات من العاملين في مجالات العمل الإنساني من هيئات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والمحلية قد تعرضوا للقتل، وأن من تبقى يعملون في ظل تهديدات خطيرة على سلامتهم.

7. إنه مع توقف 80% من المستشفيات في المناطق المتضررة من النزاع عن العمل، ارتفعت وفيات الأمهات بشكل حاد، وتعرقلت فرص حصول النساء على الرعاية الصحية الجنسية والإنجابية.

في بلد تمزقه حرب العسكر المستعرة، يزداد الأمر سوءاً بتفشي وباء الكوليرا، الوباء يفتك بالآلاف كل يوم، وسط انهيار شامل للبنية الصحية وعجز فاضح عن الحلول..

الحقيقة أن الوضع في السودان قد تجاوز مرحلة الكارثة.. الحقيقة أن هذه الحرب يجب أن تتوقف.

صرخةُ الذاكرة في 6 ديسمبر 1989:
الشهيدة التاية أبو عاقلة .. يومَ اغتالَ الرصاصُ أولَ زهرةٍ في فجرِ القهر

يا لقلبٍ أضناهُ الحزنُ، ويا لروحٍ غرقتْ في يمِّ الدموعِ... في مَعمقِ الذاكرةِ التي تأبى النسيانَ، تتجددُ فاجعةٌ كُبرى، وتنزفُ جراحُ السادسِ من ديسمبرَ عام 1989، ذاكَ اليومُ الذي ابتلعَ ضوءَ فجرٍ جميلٍ، ولفَّ الوطنَ بعباءةٍ سوداءَ من الألمِ.

كانتْ هي، الشهيدةُ التاية أبو عاقلة، أولَ زهرةٍ تروي بدمِها الزكيِّ ترابَ هذا الوطنِ المفجوعِ، أولَ قنديلٍ ينطفئُ في ظلامِ فجرٍ أعلنَ فيه نظامُ الكيزانِ الساقطُ بدايةَ عهدٍ من القهرِ والجورِ. ما زالتْ أصداءُ صرخةِ الألمِ تترددُ في أرجاءِ الزمنِ، تروي قصةَ روحٍ غادرتْ باكراً، لتتركَ خلفها ندوباً لا تلتئمُ.

من قرية دونتاي، شقَّتْ طريقَها إلى الخلودِ. يقول عنها د.معتصم دونتاي في صفحته:

"أتذكرُها، وأنا طفلٌ صغيرٌ، كأنَّها الشمسُ التي لا تغيبُ عن الأفقِ. كانَ شكلُها محفوراً في روحي، وملامحُها ترسمُ معالمَ النشاطِ والحياة. لم تكنْ مجردَ امرأةٍ، بل كانتْ امرأةً شامخةً، قويةً كالسنديانِ، حيويةً كَنبْعٍ متدفقٍ، تَبُثُّ فيمن حولها روحَ الشجاعةِ والإقدامِ. أتذكرُ بوضوحٍ نشاطَها الكبيرَ في الأسبوعِ الثقافيِّ لرابطةِ طلابِ دونتاي بالجامعاتِ والمعاهدِ العليا، حيثُ كانتْ منارةً تُلهمُ الكثيرَ من بناتِ قريتنا، وتزرعُ فيهنَّ بذورَ الوعيِ والإصرارِ على العطاءِ".ويتابع: لكنَّ الفاجعةَ التي عصفتْ بالجميعِ في ذاكَ اليومِ المشؤومِ، لنْ تبرحَ ذاكرتي أبداً. لحظةُ وصولِ خبرِ استشهادِها بطلقٍ ناريٍّ غادرٍ، كانتْ كالصاعقةِ التي هبطتْ على رؤوسِنا. خرجنا جميعاً، أطفالاً لم نُدركْ بعدُ خبايا السياسةِ ودهاليزِها، وكباراً غَمرتْهُم صدمةُ الفقدِ، نبكي بحرقةٍ شديدةٍ، بدموعٍ امتزجتْ بالصراخِ والعويلِ. لم نكنْ نفهمُ لماذا؟ أو كيفَ؟ لكنَّنا فهمنا شيئاً واحداً من ذاكَ اليومِ: أنَّ قلوبنا قد أعلنتْ القطيعةَ الأبديةَ مع كلِّ من يُمثّلُ ذاكَ النظامَ الظالمَ. كانَ يومَ ولادةِ وعيٍ عميقٍ، وعلامةً فارقةً في تاريخِ آلامنا.

رحمَ اللهُ الشهيدةَ التاية، وأسكنها فسيحَ جناتِه، نوراً وسلاماً، لروحٍ ضحَّتْ بكلِّ غالٍ ونفيسٍ من أجلِ غدٍ أجمل. وإذ تتدفقُ الدموعُ لتُروي حكايتَها، لا يسعُنا إلا أنْ نتوجهَ بالشكرِ لعمنا زروق محمد، الذي لم تَخمدْ رياحُ الزمنِ شعلةَ ذاكرتِه، فأعادَ إلينا بكلماتِه صدى يومٍ لنْ يُنسى، ووجعاً يظلُّ نابضاً في أعماقِ الروحِ.

أصواتٌ أخرسَتها الحرب.. حكـــاية شـــادن والجــزار

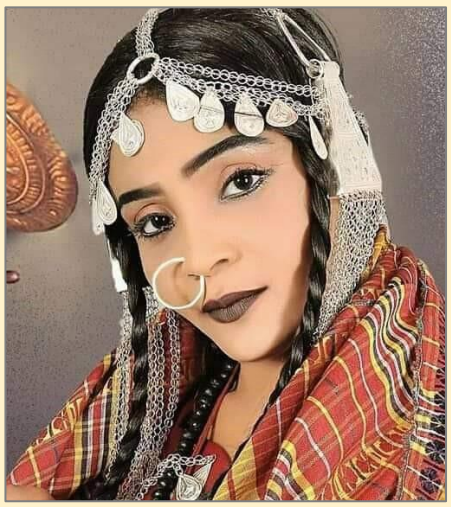

في سجل الخسائر السودانية الموجعة، لا يُحصى الفقد بالمال، بل بالأرواح التي اختطفتها آلة الحرب القاسية. بين أولئك الذين أخذتهم منا هذه المأساة، كان صوتان فنيان يمثلان الأمل والجمال: المغنية الشابة شادن محمد حسين، والمغني الشاب محمد فيصل الجزار.

شادن، "حكامة السلام"، التي كرست غناءها وبحثها للتراث الكردفاني وقيم السلام، قُتلت بقذيفة في منزلها بالخرطوم، في أيار/مايو 2023. رحلت وهي تبشر بالوئام، لتسقط ضحية لصراع آمنت بنقيضه.

أما محمد فيصل الجزار، "فتى المستقبل" بكاريزماه وحسه الموسيقي المتجدد، والذي بزغ نجمه مع "فرقة السودانيين"، فقد دفعته الحرب نازحاً من الخرطوم إلى القضارف، حيث وافته المنيّة إثر علة لم تمهله طويلاً، بعيداً عن بيته وموسيقاه وجمهوره.

مشروعان فنيان باذخان، كانا يغنيان للسلام ويخططان لمستقبل الفن السوداني، أُخِذا منا غدراً. هي لحظة ألم مضاعف: فقدان البشر، وفقدان ما يحملونه من أحلام وتجديد لروح أمة أنهكتها الحرب.

سيبقى صوتيهما صدىً لحلمٍ لم يُكتمل، وشهادة على تكلفة الصمت أمام جنون العنف.